أولاً: الداعى إلى اللّه وأهميته

سؤال يطرح نفسه، يتطلب إجابة تفى بالغرض لا على سبيل الكمال وإنما على قدر ما يقرب المعنى ويوضح المدلول مفاده.

س : ـ من هو الداعى أو ما هو مفهوم الداعى ؟ وما أهميته ؟

والجواب : ـ

الداعى إلى اللّه ﷻ هو المتأسى بالإنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ومن آمن بهم إيمانا صحيحاً : وساروا على مناهجهم ومعلوم إن الرسل والنبيين لم يورثوا درهماً ولا ديناراً بل ورثوا الدعوة والعلم والهدى والخير والصلاح والرشاد ...إلخ .

والداعى إلى اللّه تعالى هو سفير الأمة يحمل الأمانة التى كُلف بحملها، ويبلغ الرسالة التى أمر بتبليغها ولهذا كان لابد للداعية من خلق حسن يجلب له الناس، وسيرة صالحة تحبب الخلق فيه لجمعهم على الخير، ويكون لهم قدوة حسنة، ولابد له من علم ليفقه به الجاهل ويرشد الضال.

يقول الأستاذ الشيخ البهى الخولى : (الداعية إلى اللّه ﷻ ليس مجرد خطيب يخطب الناس فيلهب مشاعرهم، وإنما المراد به من يؤمن بفكرة يدعو إليها بالكتابة، الخطابة، والحديث العادى، والمحاضرة، والعمل الجدى فى سيرته العامة والخاصة، وبكل مايستطيع من وسائل الدعاية .

فهو كاتب، وخطيب، ومحدث، وقدوة يؤثر فى الناس بعلمه وشخصيته .

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

والداعية أيضا طبيب اجتماعى يعالج أمراض النفوس، ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، فهو ناقض بصير، وهو كذلك يشعر بإن دعوتة حية فى أعصابه .

متوهجة فى ضميره، وهو الداعية الذى ينفذ كلامه إلى قلب الجماهيرفيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته)[1].

ويؤكد على هذا المفهوم الدكتور إسماعيل على محمد إذ يقول : (إن الحاجة الإن ماسة إلى إيجاد هؤلاء الدعاة الماهرين الذين ينطلقون فى أقطار العالم الإسلامى ليرأبوا [2] صدعه ويجمعوا شمله ويبصروه لغايته، ويتعهدوا مسيره، ويقوَموا عوجه ويزودوا عنه كيد الخصوم، ومكر الأعداء وعبث الجهال وسفه المفتونين .

والإسلام أحوج الأديإن إلى من يتعلمه على حقيقتة النازلة من رب العالمين ثم يكرس حياته لإنعاش المسلمين به .

---

(١) تذكرة الدعاة للأستاذ البهى الخولى ص ٧ بتصرف مكتبة دار التراث القاهرة الطبعة ١٤٠٨هـ١٩٨٧م .

(٢) رأب الإناء رأبا لأمه وأصلحه ، وبين القوم أصلح بينهم . المعجم الوجيز . مجمع اللغة العربية . طبعه خاصة بوزارة التربية والتعليم ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦ م إعداد الدكتور شوقى ضيف وآخرون ص ٢٤٩

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

لقد حرص الإسلام على إن يكون للدعاة حضور ملموس فى موكب الحياة الإسلامية، وإسهام كبير فى صياغة الحياة وفق منهج الله تبارك وتعالى)[1] .

إن أهمية الداعى إلى الله تعالى باعتباره الأصل الأساسى من أصول الدعوة ليست بالأمر الهين أو اليسير وإنما هى أهمية جليلة لها قدرها ومكانها وأثرها على إعتبار أن الداعى هو واجة المبنى الذى تقوم علية الدعوة وعنوانها والتى يمكن تصورها كما يقول محمد يحي فى مؤلفه - معالم الدعوة الإسلامية : -

(عنوان كل منهج، وواجهة كل مبنى الذى يقوم بالدعوة إليه، ويتصدر إمامه أهله ووطنه ألا وهو الداعية .

فالداعى الإسلامى هو واجهة المنهج الإسلامى بين الناس، وهو الناشر للدعوة الإسلامية بلسانه وحاله.

والإسلام دعوة وداعية دعوة إلى الإسلام الحنيف بشعائره، وشرائعه، بعقيدته، وعلاقته الكريمة، وأسلوب دعوته الحكيمة، ووسائل إقناعه الفريدة، وطرق تبليغه القوية، لذلك نجد القرآن الكريم كما قدم الدعوة إلى الناس فى قوله تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

(١) الخطابة فى موكب الدعوة الإسلامية د، إسماعيل على محمد ص ١٨ بتصرف الطبعه الثالثة ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م دار الكلمة للنشر .

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (١)

قدم كذلك الداعية الأول الذى حمل هذه الرسالة للعالمين فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (٢) .

فلا نستطيع أن نفصل بين الدعوة والداعية لأن المسلم الذى يفهم دعوته فهما سليما لكنه يسئ استخدامها للناس لا يقل خطراً عن المسلم الذى لا يفهم إسلامه الفهم الصحيح ولكنه ألحن بالحجة يجيد الحوار ويحسن العرض .

فالدعوة والداعية كوجهى العمله)(٣)

وجدير بالذكر أن أصول الدعوة جميعها يرتبط بعضها ببعض فهى أشبه بالأسس والقواعد والأركإن التى لابد لها من اكتمال البناء.

وأيضا يمكن اعتبارها وتصويرها على أنها نخلة ذات جذع وساق ورأس وأوراق وثمار.

---

(١) سورة المائدة آية (١٦)

(٢) سورة التوبه آية {١٢٨} .

(٣) معالم الدعوة الإسلامية د، محمد محمد يحى صـ ٢٤٥ دار النهضة العربية ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فالجذع هو موضوع الدعوة ومادتها والمراد به الإسلام وما حوى من عقيدة، وشريعة، وأخلاق، وعبادات، ونظم، ومعاملات.....إلخ.

والساق هو الذى يأخذ اتصاله من الجذع .

والرأس هو السبل والوسائل التى يبلغ الداعى عن طريقها المادة المعينه إلى الأوراق .

والأوراق هم الأفراد والناس المدعويين.

والثمار هى الهدف من تلك الدعوة ويمكن اعتبارها ناتجا للدعوة إن لم تكن أصلا لها .

فالنخلة تكتمل هيئتها من الأربع الأول فحسب فإن لم تطرح ثمارها تصبح لدى الناظر أيضاً نخلة.

وهكذا الدعوة إن إكتملت أركإنها الأربع، الموضوع، الداعى، الوسيلة والأسلوب، المدعو، تصبح دعوة كاملة فإذا اهتدى المدعو، واقتنع وقبل وصدق تكن الثمار، وإن لم يستجب فحسب الداعى .

فى هذا المضمار ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1]

والحديث عن النخلة التى لا ثمر لها يبرزه قول الشاعر :

وبعض الرجال نخلة لا جنى لها ∴ ولا ظل إلا أن تعد من النخل[1]

(١) سورة القصص آيه (٥٦).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ومما لا شك فيه أن النخلة لاتظهر على ساحة الوجود والرؤية بين يوم وليلة، ولكن لها مراحل وأطوار حتى يحكم عليها الناس إنها نخلة مستوية على سوقها ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾(٢)

أيضا يمكن تصور الأمر على النحو التإلى : -

الدعوة ما هى إلا فكرة أو عقيدة يعتقد بها شخص أو مجموعة– أو رأى مقتنع به صاحبه، وهذه الفكرة أو العقيدة أو الرأى أساسا هى موضوع الدعوة وأصل من أصولها .

والذى أعتقدها وآمن بها يحأول نقل هذه الفكرة لغيره وهذا يعتبر الداعى والأصل الذى تنتقل من خلاله وعن طريقة الفكرة والعقيدة لغيره أو لأخر.

هذا الداعى الأصل الرئيس فى نقل الدعوة وتبليغها لابد أن ينقلها بكيفية معينة، وطريقة ما .

تلك الطريقة تسمى أو تدعى الأسلوب والوسيلة أيضاً أصل من أصول الدعوة .

وعندما تنتقل تلك الفكرة أو الرأى عن طريق الداعى بالكيفية والأسلوب الذى تبلغ به تكون الأصول قد اكتملت، ويصبح

---

(١) فى البناء الدعوى المجموعة الأولى تأليف أحمد بن عبد الرحمن الصويان صـ ١٧ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامى بلندن

(٢) سورة الفتح آية (٢٩)

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الذى بُلِّغ بالدعوة هو المدعو سواء كإن فرداً أو جماعة ولا شك إن المدعو أصل من أصول الدعوة .

فإذا آمن بها ، واعتقد بها مثلما حدث للداعى أصبح هذا الإيمإن وذلك الاعتقاد الثمرة أو النتيجة أو الهدف من الدعوة .

ولرب سائل يسأل :

لماذا قدم الداعى على غيره من الأصول مع أن الفكرة أو موضوع الدعوة موجود أساسا من قبله ؟

الجواب : -

هذه الدعوة لو لم يقم الداعى بتبليغها ونشرها ما ظهرت فى دنيا الوجود .

إذ الدعوة لا تنتشر بذاتها بل لابد لمن يسعى لنشرها بعد حملها وإبلاغها بالطريقة التى تضمن وصولها للمدعو .

فالدعوة على هذا الاساس أمإنة ..وأى أمإنة ؟؟

ولا غرو إن عدت من ضمن الامإنة المذكورة فى قوله سبحإنة وتعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (١)

يؤكد على هذه الاجابة الدكتور على الفرسيسى قائلا :

(١) سورة الأحزاب آيه (٧٢)

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

(من الحقائق الثابتة أن الداعية لأى دعوة مهما كانت يمثل حجر الزأوية فى تلك الدعوة، اذ يقدر فهمه لها، أو نهوضه بها، واستعداده لها للتفانى فى نشرها تنتشر تلك الدعوة وتسود .

أما إذا كان الداعية لايفقه طبيعة دعوته، ولا ينهض بالقيام بأعبائها فإن مصير تلك الدعوة هو الانحصار المؤدى فى النهاية إلى التلاشى .

فمصير أية دعوة أذن مترتب على عوامل يأتى فى مقدمتها (الداعية) واذا كان هذا شأن الداعية فى عامة الدعوات فإن شأنه فى الدعوة الإسلامية أعظم خطرا، وارفع قدراً، واجل أثراً .

حيث إن الإسلام فى ذاته قد توفرت له كل العوامل التى تجعله أهلا للقبول والسيادة فى العالم كله – كما أنه بما فيه من عقيدة وشريعة واخلاق هو القادر على تحقيق مصالح البشر فى كل زمإن ومكإن .... وإذا كإن الإسلام من حيث الذاتية بهذا الرقى وذاك الكمال فإن داعيتة ينبغى إن يكون على درجة كبيرة .

من الوعى بحقائق الإسلام، ودقائقه ليضعها أو يعرضها أمام عامة المدعوين من البشر ليهلك من هلك عن بينة، ويحي من حى عن بينة....)[1]

وثمة ملحظ يؤخذ فى الاعتبار.

(١) مناهج الدعوة الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة النبوية تأليف د/ على سيد احمد الفرسيسى صـ ١٠٩ : ١١٠ بتصرف مطبعة حنون ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الداعى الذى يقوم بتبليغ الدعوة أيوجد بين يوم وليلة أم ينشأ بين التوة[1]

واللحظة داعيا، ام له وضع ما يصير من خلاله داعية ؟

هذا ما سأجليه فى النقطة التالية بعدما عرضت لأهمية الداعى إلى الله تعالى.

علما بإن ما سيتضح فى الإجابة على التسآؤلات السابقة ليس بالأمر الهين أو اليسير.

فالإجابة إجمالا :

لابد من إعداد وتكوين لكى يحظى بسمة الداعى، وهذا الإعداد يكون مستنبطا من مصدر الإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية وبيإن مناهجهما بخصوص هذا الأمر بالذات.

أما الإجابة التفصيلية ففى الجزئية الثانية من موضوع البحث.

فأقول وبالله التوفيق : .

ثانيا : إعداد الداعى إلى الله تعالى :-

إن الامة الإسلامية فى حاجة ماسة، وملحة إلى إدراك أن الدعوة إلى الله ﷻ علم له أصوله ومبادئة التى يجب الخوف عليها، وتعلمها، والسير بدعوة الله سبحانه وتعالى فى نورها لأجل أن تتحقق الأمال المرجوة، والمنشودة، وأن تؤتى الدعوة ثمارها المطلوبه.

(١) التوة : الساعة من النهار أو الليل- المعجم الوجيز ص ٧٩ مرجع سابق.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

والداعى إلى الله جل شأنه من خلاله نصل بالدعوة للهدف المبتغى بحاجة إلى رعاية، وعناية، وسمات معينة، ومؤهلات محددة.

إذ من الصعب جدا والشاق حتما أن الداعى لا يولد بين يوم وليلة ليصبح داعيا، أو يمارس مهمة ووظيفة الدعوة دون إعداد وتكوين مسبق (ذلك أن الإعداد لكل عمل قبل القيام به فريضة حتمية، وضرورة شرعية تفرضها الرغبة فى النجاح كما يفرضها الاخلاص فى العمل)[1]

إعداد الداعى إلى الله تعالى مصدر من مصادر القوة لهذا الدين الإسلامى الذى أمر أتباعة بها كما ورد فى ثنايا الذكر الحكيم كلمة الوعى الإلهى القرآن الكريم قال تعالى ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[2]

وقد وضح النبى ﷺ ذلك بقوله (المؤمن القوى خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير، إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز....)[3]

---

(١) معالم دعوة الحق فى موكب الدعاة الى الله تعالى كما يصورها الوحى الإلهى د/ مرسى شعبان السويدى ص ٢٦٦ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨ م مطبعة التوحيد بشبين الكوم.

(٢) سورة الأنفال من آيه (٦٠)

(٣) صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم بن حجاج النيسابورى كتاب القدر باب فى الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله ص ٧١١ عني به وقدمه هندى صابر قاسم مكتبة أولاد الشيخ للتراث طبعة ١ سنة ٢٠٠٨ م .

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وعلى ضوء ذلك يمكن بيإن منهاج القرآن الكريم والسنة النبوية فى تكوين وإعداد الداعية إلى اللّه تعالى وتأهيله للقيام بمهمة وأمإنة ومسئولية الدعوه فيما يلى :

(أ) : منهاج القرآن الكريم فى إعداد الداعى إلى اللّه تعالى : ـ

القرآن الكريم – كلام اللّه ﷻ – للّه منهاج أصيل، وأساسى، وفريد فى إعداد الداعى إلى اللّه سبحانه وتعالى وتكوينه وتهيئته.

هذه التهيئة، وذاك الإعداد يجب أن يبدأ من سن الطفولة أى من

فترة التكوين الأولى للداعية عندما توفر له بيئة صالحة، سامية، راقية يكتسب منها القيم والأخلاق النبيلة الفاضلة، العظيمة .

يشير إلى ذلك المنهاج د/ محمد يحى بقوله: (للقائمين على إعداد الدعاة وتربيتهم درس عظيم فى مجال التربية السليمة المثالية من القرآن الكريم وذلك تربية الداعية الأول ﷺ

فها هو المنهج القرآنى السليم فى تربية وإعداد الدعاة من خلال ما بينه اللّه ﷻ فى سورة الضحى حينما قال الحق سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾[1]

(١) سورة الضحى آية (٦ : ٨).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

هذه الآيات بينت لنا إعداد الله ﷻ وتربيته لمن اصطفاه للنبوة والرسالة .

ولا شك أن هناك فرق شاسع بين تربية المخلوق وبين تربية الخالق لمن خلق فتربية الله لنبيه ﷺ يجب أن تؤخذ فى الاعتبار لأنها ركزت على جانبين هامين من جوانب الإنسإن وهما :

١- الجإنب المادى ٢- الجإنب المعنوى .

وهذان الجانبان يجب أن يراعيهما القائمون على إعداد الدعاة فلابد أن يعرف المربى أن للإنسان ملكات وجوانب مادية، ومعنوية فلا يربى ملكة على حساب أخرى فيؤدى ذلك إلى التمزق فى الداعية والقلق النفسى بين ملكاته)[١]

وأهمية الأمر النفسى على وجه الخصوص وتقديراً لشأنه يوضحة إجمالا الدكتور مرسى شعبان السويدى بقوله :

(إن النفس الإنسإنية عالم مترامى الأطراف، وأن ما تحفل به من إمكانيات وطاقات ومواهب نتيجة اختلاف الميول والرغبات ليسهم إسهاما بالغا فى ضرورة توجيه هذه النفس نحو أعباء بعينها فى الحياة)[٢]

(١) معالم الدعوة الإسلامية د/ محمد يحى ص٢٤٩ بتصرف

(٢) معالم دعوة الحق فى موكب الدعاة الى الله تعالى كما يصورها الوحى الإلهى ص٢٦٦ مرجع سابق .

مرجع ذلك الأمر لعظم قدر الدعوة التى يتحمل تبعاتها ومسئوليتها الداعى إلى الله تعالى لإنها قضية يتشكل على أثرها الحكم بالفلاح أو الخسرإن على الفرد أو الامة.

يؤكد على ذلك الدكتور بدير محمد بدير بقوله (إنما الداعية صاحب قضية وقف لها حياته ومؤمن بفكرة يدعو إليها بالخطبة، والمحاضرة، والدرس، والحديث العادى، واللقاء الشخصى، والمقال، والكتاب، والسيرة الحسنة، والبشاشة، والإكرام، وبكل أقواله وأعماله وفى كل مواقفه وزياراته وبكل ما يتاح من وسائل الدعوة فهو خطيب، ومحاضر وكاتب، ومثل طيب، ونموذج يحتذى به وهو طبيب روحانى يطيب القلوب ويسمو، بالأرواح ويعالج أمراض النفوس)[1]

وذلك مستمد من قوله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[2]

ويواصل الدكتور محمد يحى حديثه عن الإعداد المادى والمعنوى للداعية والذارت إليه آيات سورة الضحى حسب وجهة نظره فيقول: - (والناظر فى الآيات الكريمة من سورة الضحى يرى أن اللهﷻ قد ربى رسول الله ﷺ من ناحيتين .

---

(١) أصول الدعوة فى ضوء الكتاب والسنة – أبو السبطين البهوتى د/ بدير محمد بدير ص ١٠ الطبعة الثانية ١٤١٩هـ /١٩٩٨م دار نور الإسلام للنشر بالمنصورة.

(٢) سورة الأنعام آية (١٦٢ : ١٦٣) .

١- ناحية مادية :- شملت النبى ﷺ منشأ واجتماعا لعناصر تكوينيه وحملا من الام، وإرضاعا، وتربية لجسمه حتى يبلغ المستوى الذى يصل به إلى الكمال الإنسانى .

٢- ناحية معنوية :- تمثلت فى هديه ﷺ وإزكاء روحه، وبهذا يظهر مدى اهتمام القرآن الكريم بالجانبين المادى والمعنوى – وهذا ما يجب أن يراعيه القائمون على إعداد الدعاة حيث يجب الموازنة بين مطالب الجسد ومطالب الروح، ولنا أن ..

نتصور مقدار الخطر من فقدان هذا التوازن)[1]

ويزيد الأمر تبيانا عندما يتحدث عن أهمية الإيواء المرتبط بالجانب المادى أصلا إلا أن ذلك الارتباط أيضا يتصل بالناحية النفسية اتصالا كبيرا وهاما فيقول على ما ذكره سابقا :

(إذا وعلينا ونحن نعد الداعية ان نوفر له الإيواء – فالإيواء يضع الثقة لأنه يكفل الحماية، ويطرد الضعف، فإذا ما نشأ الداعية وسط ذلك شاب على ما نشأ عليه، ولعل فى ذلك بعض السر فى الإيواء الذى أحيط به النبى ﷺ حيث نشأ يتيما

ومن المعلوم ان ضرر اليتم كبيرعلى نفسية الطفل، وقد نجى الله رسوله ﷺ من هذه الأضرار فكفله جده وعمه، وكفاه الله كل سوء ومكروه، ولم يظهر عليه السلام يتم البتة، وكذلك وفر الله لنبيه اليسر المادي ...

لأن الداعية فى مرحلة إعداده يجب أن يتوجه للدعوة وحدها، ولا يشتغل بغيرها، وأن يسهل له أمرها من كتاب أو غيره من الوسائل

(١) معالم الدعوة الإسلامية ص ٢٤٩ : ٢٥٠ بتصرف.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

كما أن اليسر المادى للداعية دافع إلى الاهتمام بما يقول ويفعل، لأن الناس جبلوا على احترام القوى ...واليسر المادى ضرب من ضروب القوة ونوع من أنواعها بلاشك ....

وهكذا واجب على القائمين بإعداد الداعة أن يوفروا لهم ١- الإيواء واليسر المادى ٢- التربية العلمية السليمة ..... وبهذا نوجد داعية قوى قادر على نشر الدعوة على بصيرة وبينة)[1]

وإن منهاج القرآن الكريم فى إعداد الداعى إلى الله ﷻ ملىء بكثيرا من الآيات، والشواهد، والأمثلة التى تشمل كل عناصر الإعداد، والتكوين، والتهيئة للداعى إلى الله تعالى كى يقوم بدعوته على الوجه الأنسب .

وقد تم ذكر، وعرض مثال واحد من سورة الضحى خشية الأطناب ومن جانب آخر يفسح المجال للسنة النبوية فى عرض منهاجها وهذا ما أذكره فى العنصر التالى :

ب – منهاج السنة النبوية فى إعداد الداعى إلى الله تعالى :

إن محاولة إدراك، ومعرفة منهاج السنة النبوية فى إعداد وتكوين، وتهيئة الداعى إلى الله تعالى لايمكن حصره، وعرضه، وذكره فى كلمات، وعبارات وصفحات، وكتب ومجلدات لأنه يتطلب ببساطة شديدة الإلمام بحياة النبى ﷺ فى كل أقواله، وأفعاله، وتصرفاته، وإقراره، وسكوته .....إلخ

الحياة التى أشار إليها قول الله ﷻ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[1]

(١) المرجع السابق ٢٥٠ : ٢٥١ بتصرف .

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فلقد كان المصطفى ﷺ هو التطبيق العملى للإسلام بكافة شؤونه .

ولو توقفنا عند جانب واحد من شخصيته العظيمة ﷺ لاستنتجنا من فحواه – أى هذا الجانب – كيفية إعداد النبى ﷺ الداعى إلى الله تعالى وفق منهاج القرآن الكريم السالف عرضه .

ولقد بلغ المختار ﷺ الكمال الإنسانى الخلقى والخُلقى فى كل شيء، وزاد على هذا السمو، وذاك الكمال اصطفاء الله ﷻ له بالنبوة والرساله، وزاد هذا الاصطفاء نعمة بأن جعله ﷺ خاتما للنبيين، ويشير إلى ذلك الأمر قول الله ﷻ (قل إنما أنا بشرا مثلكم يوحى إلى .....)[٢]

وقوله سبحانه وتعالى ايضا ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٣]

وقد صاغ الإمام البوصيرى رضي الله عنه هذا الفضل شعرا وأبيات منظومة فى قصيدة وصفة بأنها أجل، وأعظم القصائد التى نظمها شاعر فى مدح النبى ﷺ ومنها :

---

(١) سورة الأنعام آية ١٦٢

(٢) سورة الكهف آيه ١١٠

(٣) حقوق النبى ﷺ بين الإجلال والإخلال قدم له فضيلة الشيخ د / صالح بن فوزان الفوزان و الشيخ / محمد الراوى و الشيخ / محمد صفوت نور الدين – أطروحة بحث لسليمان بن عبد العزيز الفريحى ص ١٧٧ : ١٨٣ بتصرف واختصار الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م كتاب المنتدى الإسلامى بلندن

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فمبلغ العلم فيه أنه بشر. ∴ وأنه خير خلق الله كلهم.

يتحدث عن هذه القصيدة معلقا الشيخ سليمان بن عبد العزيز الفريحى : (منذ أن إنتشر الإسلام أقبل الأدباء على مدح النبى ﷺ بمدائح كثيرة، حفظ لنا التاريخ شيئا منها..... كما كان لشعراء الرسول ﷺ ككحسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك وغيرهم قصائد عدة ....بل إن هناك من شعراء الكفار مَن مدحه، وأثنى على أخلاقه الكريمة كالأعشى الكبير ميمون بن قيس ومن قصيدته قوله :

نبى يرى مالا ترون وذكره. ∴ أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا.

لله صدقات ما تغب ونائل. ∴ وليس عطاء اليوم مانعه غدا.

وتستمر المدائح النبوية دائرة حول أوصاف النبى ﷺ الخلقية والخلقية المعروفة ..... وتوافق الفكر التصوفى المتميز على يد محمد بن سعيد البوصيرى ....

وقد أجمع معظم الباحثين على أن ميمية البوصيرى التى أسماها هو (الكواكب الدرية فى مدح خير البرية) أفضل قصيدة فى المديح النبوى حتى قيل إنها أشهر قصيدة فى الشعر العربى بين العامة والخاصة....

وقد جعل المدائح النبوية تتكون من ثلاثة أجزاء ..... الجزء الثانى – مديح النبى ﷺ ومعجزاته وخصائصه وهذا الجزء هو غرض القصيدة ويبدأ بقوله : محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم

وفى هذا الجزء قوله :

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فمبلغ العلم فيه أنه بشر. ∴ وأنه خير خلق الله كلهم.

ونسب فيه مناماً خاصة للبوصيرى ... فيه أن النبى ﷺ هو الذى ألقى بشطره الثانى على الإمام البوصيرى...)

يتطلب الأمر على ضوء ماسبق عرض رؤية تحليلة يتضح منها عظمة النبي ﷺ بأسلوب أدبى، ودعوى رائق وهذا هو عين ماذكره فضيلة المرحوم الشيخ/ محمد الغزالى عند حديثه عن روحانية الرسول ﷺ اقتطف جزءاً من عباراته، ورؤيته ومنها:

(إذا كان شأن العامة أنزل رتبة من شأن الخاصة، فإن هؤلاء الممتازين أنفسهم يقع بينهم من التفاوت فى الخير والفضل.....وقد اقتضت حكمة الله أن يختار حملة الوحى الأعلى من الصفوة المنتقاة بين هؤلاء الخاصة، وهى صفوة مبرزة فى كل شئ...وقد أومأ القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة فى قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾[1]

هؤلاء النبيون الذين وكل إليهم أن يهدوا الناس ردحاً[2] من الزمن فى العصور الأولى ..أما هذا النبي المتفرد ﷺ فقد كلف أن يهدى الناس الدهر كله، وأرسل بكتاب يبقى بينهم مابقى الليل والنهار

وسط أولئك الصالحين تلمح –فى خشوع وتوقير- محمد بن عبدالله ﷺ صاحب الرسالة الخاتمة، وملتقى العقائد والفضائل التى

(١) سورة ص آية ٤٥:٤٧

(٢) الردح المدة الطويلة يقال أقام ردحاً من الدهر–المعجم الوجيز ص ٢٦٠

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ناط[1] القدر بها صلاح الأولين والآخرين..إنه المثل العليا كلها فى إطار من اللحم والدم، تستطيع أن تعرفه فى يسر من الكتاب الذى جاء به، ومن الحكمة التى يتفجر بها منطقه..ترى كل العناصر التى يستطيع بها أى إنسان أن يقوم بوظيفته الصحيحة فى الحياة

مامعنى أن يقول محمد ﷺ لربه : أشهد أن محمداً عبدك ورسولك؟

ذلك ضرب من الإصرار على تحمل الأمانة، وإبلاغ رسالة للعالمين مهما كذبوا بها وتنكروا لصاحبها..لايكاد يمسه فتور أو ذهول عن شئ دق أو جل..

انظر إلى هذا التفانى فى مرضاة الله، وهوكذلك إقرار من الداعية أنه أول من صدع بواجبات دعوته، وأول من يلبى مطالب رسالته، وأول من يطيع أمر الله، وينفذ حكمه، ويقيم حده، ويعلى شعائره..وطبيعى أن يعيش صاحب هذه الرسالة طيلة عمره مبرأ من كل عيب، منزهاً عن أية ملامة..

ومامن كبير إلا وله سقطة حتى لقد تواضع الناس أن يغفر بعضهم لبعض هنات أو سيئات لابد أن يواقعوها..لكن هناك صنفا من الناس ليس فى شرابهم قذى قط هم المصطفون الأخيار من عباد الله

---

(١) ناط نوطاً علقه، واسم موضع التعليق مناط، والنوط كل مايعلق بشئ، والوسام- انظر المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى للعلامة/أحمد بن محمد المقرى الفيومي الجزء ٢ ص٨٦٧ المطبعة الأميرية ببولاق الطبعة الثانية ١٩٣٩م- والمعجم الوجيز ص ٦٣٩

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وفى الطليعة الوضاءة من هذا النفر النقى إماما فذا، ورحمة مهداة، ونبى معصوما هو محمد بن عبدالله ﷺ

فى الأولين والآخرين..

والحق أن ترويض النفس على الكمال والخير، وفطامها عن الضلال والشر يحتاج إلى طول رقابة وطول حساب)[1]

وهذا بعينيه ماصنعه الرسول ﷺ فى إعداد وتكوين الداعى إلى الله تعالى

وبعد هذه الإطلالة الموضحة لمعالم، وملامح شيم النبي ﷺ لابد من إلقاء الضوء على مثال، وشاهد يبرز لنا أهمية هذا الإعداد والتكوين

واستشهد بذكر جزء من نصائحه، وتوجيهاته مع التعليق على قوله ﷺ قدر المستطاع مستأنساً ببيان تلك الأهمية المطروحة فى رسالة دكتوراه بعنوان: الدور التربوى للوالدين- الجزء الأول وإليك البيان

تقول الدكتورة/ حنان عطية الطورى الجهنى : (تعد التربية الإيمانية من أهم أنواع التربية التى تؤثر فى شخصية الفرد تأثيراً كبيراً وتجعله ميالاً للخير، متحليا بالصفات الحميدة، ملتزماً فى سلوكه وتصرفاته التزاماً ذاتيا مستمراً بالخلق الكريم..فالعنصر الروحى في الإنسان لابد له من إشباع كما يشبع العنصر المادى أو الجسدى بالطعام والشراب ونحوها..

(١) جدد حياتك للشيخ/محمد الغزالى ص١٦٥:١٨٦ بتصرف واختصار الطبعة السادسة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار الدعوة للطباعه

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

إن فى ذلك امتثالا لأمر الله تعالى حيث أمر الله سبحانه بتربية الأبناء على الإيمان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[1]

هذه التربية واجبة على الآباء تجاه أبنائهم فى كل مراحل النمو بصرف الأنظار عن إسلوب تنفيذها

وهذا الإسلوب من انتهاز الفرص فى غرس الإيمان، وإسداء النصائح، والتوجيهات الإيمانية أسلوب المربى الأول ﷺ

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: (ياغلام إنى أعلمك كلمات أحفظ الله يحفظك أحفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك..... رفعت الأقلام وجفت الصحف)[2]

فى مرحلة الطفولة المتأخرة وهى مابين ١٢: ٩ سنة يرقى فكر الإنسان، وتتنوع خبراته، وتتسع مداركه، وتنمو قدرته على التأمل

---

(١) سورة التحريم من آية ٦

(٢) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب صفة القيامة والرقائق والورع حديث رقم٢٥١٦، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع حديث رقم٧٩٥٧، وأخرجه الإمام أحمد فى المسند جزء ١ رقم ٢٩٣ وانظر صحيح سنن الترمذى طبعة المكتب الإسلامى ١٣٩٢هـ، وانظر شرح الأربعين النووية للإمام أبى ذكريا يحي بن شرف الدين النووى تحقيق محمد رضوان أحمد ص١٠٥ مؤسسة الصحابة للطباعة والنشر شبين الكوم مصر طبعة ٣ عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

والتخيل، ويتحول إلى طاقة إيمانية مستعدة لتقبل الأوامر الإلهية، والامتثال لها أكثر من أى فترة أخرى من حياته الماضية..

ويتجه بفكره إلى الله مدركاً جوانب التنزيه والوحدانية، والقدرة لديه، ومتقبلاً لهذه الصفات تقبلاً نفسياً يشعر معه بالراحه، والرضا، والاطمئنان، ويصبح قادراً على تصور عظمة الذات الإلهية ..

ودور الوالدين فى هذه الفترة يقوم على استغلال هذا التطور الإيمانى فى نفس الطفل، وتقوية عقيدته بالله التى سيرى فيها خير عون على تقبل مايتعرض له من الآم الواقع، وصراعات الحياة..وذلك عن طريق التركيز على جوانب العقيدة المؤثرة فى روحه ومن أهم تلك الجوانب أن يبين الوالدان للطفل صفات الله سبحانه وتعالى التى تربى فيه الإحساس بأن الله تعالى قريب منه بحيث يراه، ويرعاه، وهذا ماأشار إليه وورد ذكره على لسان سيدنا عبدالله بن عباس فى الحديث المذكور(ياغلام إنى أعلمك كلمات أحفظ الله يحفظك أحفظ الله تجده تجاهك...)الحديث تأكيداً لقول الله ﷻ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1] قوله جل وعلا أيضاً﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٥﴾[2]

فإن الوالدين إذا نهجا فى تربية الطفل هذا النهج، وسار فى تأديته على هاتيك الأسس فإنهما سيسهما فى تكوين جيل مسلم، مؤمن بالله معتز بدينه

(١) سورة الحديد آية ٤

(٢) سورة آل عمران آيه ٥

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

حيث إن الطفل حين ينشأ منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله، ويتربي على الخشية منه والمراقبة له، والاعتماد عليه، والاستعانة به، والتسليم لأمره تنمو عنده الملكة الفطرية، والاستجابة الذاتية لتقبل كل فضيلة ومكرمة لأن المرقبة الإلهية ترسخت فى أعماق وجدانه)[1]

ولتوضيح هذا المفهوم لابد من شرح الحديث السابق تفصيلا قدر ما تيسر على النحو التالى :

اصطفى الله تعالى هذه الأمة من بين سائر الأمم ليكتب بها ولها التمكين فى الأرض وهذا المستوى الرفيع لا يتحقق إلا بوجود تربية إيمانية جادة تؤهلها لمواجهة الصعوبات التى قد تعتريها[2] والأعاصير التى قد تحيق بها فى سبيل نشر هذا الدين، وإقامة شرع الله فى الوجود .

ومن هذا المنطلق حرص النبى ﷺ على غرس العقيدة فى النفوس المؤمنة، وأولى اهتماما بالغلمان والشباب، ولا عجب فى ذلك فهم اللبنات[3] القوية، والسواعد الفتية التى يعول عليها لنصرة الإسلام، وتحمل أعباء تبليغ الدعوة، والرسالة، والتعاليم الإلهية .

---

(١) الدور التربوى فى تنشئة الفتاة المسلمة فى مرحلة الطفولة الجزء ١ تأليف د/حنان عطية الطورى الجهنى ص٦١:٢٩ بتصرف واختصار الطبعة ١ عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م مطابع أضواء البيان الرياض مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر

(٢) عراه أمر واعتراه أصابه – المصباح المنير جزء ٢ صـ ٥٥٦

(٣) جمع لمفرد لبنه والفعل منه لبن الرجل إتخذ اللبن وصنعه للبناء – المعجم الوجيز ص ٥٥٠

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وفى الحديث الذى سبق مثال حي على هذه التنشئة الإسلامية الفريدة للأجيال المؤمنة فى عهد النبوة بما يحتويه هذا المثال على وصايا عظيمة، وقواعد مهمة لاغنى للمسلم عنها

وأولى الوصايا التى ذكرها هذا التوجية النبوى قوله ﷺ : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده اتجاهك ....

إنها وصية جامعة، وتوجيه سديد يرشد المسلم بأن يراعى حقوق الله سبحانه وتعالى ويطيع أوامره، ويقف عند حدود الشرع فلا يتجاوزه أو يتعداه، ويمنع جوارحه من استخدامها فى غير ما خلقت له .

فإذا قام بهذا الفعل كان الجزاء من جنس الفعل مصداقا لما ذكره الله جل شأنه فى القرآن الكريم حيث قال : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ ﴾ (١) وغيرها من الآيات وهذا الحفظ الذى وعد الله تبارك اسمه مَن اتقاه يأتى على جزئين .

١- الأول حفظ الله سبحانه للإنسان فى دنياه، فيحفظه فى بدنه، وماله، وأهله، ويوكل الله من الملائكة من يتولى صيانته وحفظه ورعايته كما أخبر سبحانه بقوله ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾(٢).

وبهذا الحفظ أنقذ المولى ﷻ إبراهيم عليه السلام من النار، واخرج يوسف من الجب.، وحمى موسي عليه السلام من الغرق وهو رضيع ....

---

(١) سورة البقرة آيه ٤٠

(٢) سورة الرعد آيه ١١

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وتتسع حدود هذا الحفظ لتشمل حفظ المرء ذريته ولو بعد موته كما قال أحد العلماء الصالحين لولده : لأزيدن فى صلاتى من أجلك رجاء أن أحفظ فيك وتلا قوله تعالى : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[1].

٢- الثانى حفظ الله للعبد فى دينه. فيحميه من مضلات الفتن، وأمواج الشهوات، وسبل الشياطين والوقوع فى السوء والفحشاء .

ولعل خير مايذكر فى هذا الأمر وذاك المقام حفظ الله تعالى لدين يوسف عليه السلام على الرغم من الفتنة العظيمة التى ألمت وأحاطت به، وكادت له ليقع فى المعصية، ويرتكب أبشع الموبقات مع امرأت العزيز قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2]، .. وتستمر هذه الرعاية للعبد حتى يلقى ربه مؤمنا موحدا.

ولكن الفوز بهذا الموعود العظيم – حفظ الله – ولقاء المولى على الإيمان والتوحيد يتطلب من المسلم إقبالا حقيقيا على الدين، واجتهادا فى التقرب إلى البارء جل شأنه مع دوام الصلة به فى الخلوات، فمن اتقى الله حال الرخاء وقاه الله حال الشدة والبلاء .

ثم انتقل التوجيه من الشفيع ﷺ كما ورد بالحديث إلى جانب مهم من جوانب العقيدة، ويتمثل ذلك فى قوله عليه السلام لابن عباس رضي الله عنهما : (إذا سألت فسأل الله ...) – وسؤال الله تعالى، والتوجه إليه بالدعاء من أبرز مظاهرالعبودية، والتذلل له، والافتقار إليه بل هو العبادة كلها .

---

(١) سورة الكهف آيه ٨٢

(٢) سورة يوسف آيه ٢٤

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وقد أثنى الله ﷻ على عباده المؤمنين فى القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (١) .

وإن من تمام هذه العبادة ترك سؤال الناس، فإن فى سؤالهم تذلل لهم، ومهانة للنفس، ولا يسلم سؤالهم من منة أو جرح للمشاعر أو نيل من الكرامة إلا ما قيدته الضرورة فى مثل قوله تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (٢) – وقوله : ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ (٣) – وكذلك طلب ما فيه منفعة الناس وإصلاح حالهم مثل قوله ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ (٤) – ومسبقا ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ (٥)

أما إذا كان السؤال يتعارض مع أمر شرعى فهذا منهى عنه كما قال أحد العلماء لصديقه محذرا إياه : إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعل دونك حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك .

---

(١) سورة الأنبياء آيه ٩٠
(٢) سورة النحل آيه ٤٣
(٣) سورة الكهف آية ٦٦
(٤) سورة يوسف آيه ٥٥
(٥) سورة يوسف آية ٥٠

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وصدق الشاعر فى هذا إذ يقول:

لا تَسْـــأَلَنَّ بَنِـــي آدَمَ حَاجَـــةً ∴ وَسَـلِ الَّـذِي أَبْوَابُـهُ لا تُحْجَـبُ

اللَّـهُ يَغْضَـبُ إِنْ تَرَكْـتَ سُـؤَالَهُ ∴ وَبُنَـيَّ آدَمَ حِـينَ يُسْـأَلُ يَغْضَـبُ

وقد أثنى الله جل شأنه على عباده المتعففين فقال: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾[1]

.

وقد بايع النبى ﷺ رهطا من أصحابه على ترك سؤال الناس وكان منهم أبو بكر الصديق وأبو ذر الغفارى وثوبان .... وغيرهم رضى الله عن الجميع فامتثلوا لذلك حتى إن أحدهم إذا سقط منه سوطه أو خطام[2] ناقته لا يسأل أحدا أن يأتى به ...

وفى قوله ﷺ: وإذا استعنت فاستعن بالله أمر بطلب العون من المولى ﷻ دون سواه، لأن العبد من شأنه الحاجة إلى من يعينه فى أمور معاشه، ومعاده، ومصالح دنياه، وآخرته، وليس يقدر على ذلك إلا الحى القيوم الذى بيده خزائن السموات والأرض، فمن أعانه الله سبحانه وتعالى فلا خاذل له،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٣

(٢) الخطام الزمام وما وضع على خطم الجمل ليقاد به والجمع خطم وأخطمه – المعجم الوجيز ص ٢٠٤

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ومن خذله الله فلن تجد له معينا ونصرا قال تعالى ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾(١) .

وإذا قوية استعانة العبد بربه فإن من شأنها أن تعمق إيمانها بقضاء الله وقدره، والتوكل والاعتماد عليه فى كل أموره، وأحواله ومطالبه، وعندها لا يبالى بما يكيد له أعداؤه ويوقن أن الخلق كلهم لن ينفعوه بشيء لم يكتبه الله له، ولن يستطيعوا أن يضروه بشئ لم يقدَر عليه، ولم يكتب فى علم الله ﷻ كما قال سبحانه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ ﴾(٢)

ولما أدرك، ووعى السلف الصالح تلك الوصية أورثهم هذا الوعى ثباتا فى العزيمة، وتفانيا فى تبليغ هذا الدين غير مبالين بالصعوبات التى تواجههم، والآلام التى تعتريهم لأنهم تيقنوا أن طريق التمكين إنما يكون بالعمل بهذه الوصية النبيوية، وأن الفرج يأتى بعد الكرب وأن العسر يعقبه اليسر كما ورد عن السيدة زينب رضي الله عنها فى ذلك :

(فكم لله من لطف خفى. ∴ يدق خفاه عن فهم الذكى.
وكم يسرٍ أتى من بعد عسر. ∴ ففرج كربة القلب الشجى.

(١) سورة آل عمران آيه ١٦٠
(٢) سورة الحديد آيه ٢١

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وكم أمر تساء به صباحا. ∴ فتاتيك المسرةُ بالعشى[1].

إذا ضاقت بك الأحوال يوما. ∴ فثق بالواحد الأحد العلى.

وهذا هو الطريق الذى سلكه رسل الله وأنبياؤه عليهم جميعا الصلاة والسلام، فما كتب النصر لسيدنا نوح عليه السلام إلا بعد سلسلة طويلة من الجهاد مع قومه، والصبر على أذاهم، وما نجى الله نبيه يونس عليه السلام من بطن الحوت إلا بعد معاناة طويلة عاشها مستغفرا لربه، راجيا فرجه، معتمدا عليه فى كل شئونه حتى انكشفت عنه غمته .

وهكذا يكون النصر مرهونا بالصبر على البلاء، والقدرة على تجاوز الامتحان، والنجاح فى الاختبار، وتتمة الحديث النبوى الشريف تغرس فى كيان المسلم ركناً من أركان العقيدة، وركناً أساسياً يتضح من خلال التصديق به إذا ماكان المرء مؤمناً إيماناً يقينياً أم إيماناً مظهرياً وشكلياً ذاك هو ركن الإيمان بالقضاء والقدر.

المتمثل فى نصح النبي ﷺ بقوله: واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف

يقول د/اسماعيل علي: (إن النظم الإسلامية تنطلق من أسس إيمانية، وهذه الأسس تتلخص فى أركان العقيدة الستة التى جاءت

(١) ريحانة أل البيت السيدة زينب رضي الله عنها تأليف – محمد عبدالله سلطان المنفلوطى صـ١٠٥ مطبعة الأمانة ٢٠٠٣م

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فى حديث جبريل عليه السلام المشهور عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقد جاء فيه: (قال أخبرنى عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت)(١)

فالأول وأهم أصل إيمانى الاعتقاد أن الله وحده هو الرب الخالق الذى خلق الإنسان وجعله خليفة فى الأرض وخلق الكون كله وجعله مسخراً للناس..ثم الأساس السادس وهو الإيمان بالقدر وأن الله قدر كل شئ وقضاه، وأن إرادته نافذه، ومشيئته كائنة، وأن ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن، وأن كل ماقدره الله فى كتاب محفوظ(٢)

سواء كان هذا المقدر خيراً أم شراً، ضراً أم نفعاً لايتعامل معه المسلم المؤمن إلا بالرضا التام، واليقين الكامل، ويكيف شأنه على حسب المقدر له بما أمر به الشرع

ففى حال السراء، والخير والنفع، والغنى والعطاء يشكر الله عز وجل ويعتقد أن هذا أمر قدره الله سبحانه وتعالى له

وفى حال الضراء والسراء، والفقر والحرمان يصبر على بلاء الله عز وجل له ويوقن أن ما أصابه من قدر الله تعالي ولامحيص..

وعود على بدء..

---

(١) جزء من حديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله تعالى..ص١٧ مكتبة أولاد الشيخ للتراث

(٢) مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية د/اسماعيل على محمد ص٢٢:٢٤ بتصرف واختصار الطبعة الأولى شركة منارات للإنتاج الفنى ٢٠١٠م

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

مثال واحد استدل به من رياض السنة النبوية يتبين من ذكره كيفية إعداد وتكوين المصطفى ﷺ للداعى إلى الله ﷻ، ويتضح من خلال هذا المثال أيضاً عظمة النبي ﷺ فى توجيهه، وحكمته فى تربية الأمة لتكون كما وصفها الله تقدست أسماؤه وصفاته فى القرآن الكريم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(١)

ولاشك أن خيرية الأمة تتحقق فى التزامها بمنهاج القرآن والسنة لكى تحظى بجزء من العظمة التى تمثلت فى شخصية المختار ﷺ والتى أشار إلى بعض منها الشاعر فى قوله :

الله صلى وسلم. ∴ على النبي المعظم.
وآله خير آل. ∴ من نحوه الركب يمم.
ياساائراً لتهامة. ∴ منى فبلغ سلامته.
إن عروس القيامة. ∴ طه الشفيع مكرم.
فإن وصلتم حماها. ∴ من بعد لاحت قباها.
صلوا على البدر طه. ∴ قولوا أتينا المفخم.
لواءه المحمود. ∴ وحوضه المورود.
وظله الممدود. ∴ لمن عليه صلى وسلم.
والأنبياء جميعا. ∴ رجوا لواء الشفيعا.

(١) سورة آل عمران آية ١١٠

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ولـــه المقـــام الرفيعـــا. ∴ وهـــو الإمـــام المعظـــم)[1] .

ولعـل قائـل يقـول: ماالـذي يترتـب علـى العمـل بمنهـاج القـرآن الكـريم ومنهاج النبى ﷺ فى إعداد وتكوين الداعى إلى الله تعالى؟

الجـواب: لاريـب أن الـداعى إلى الله ﷻ سـوف يتحلـى بسـيم طيبـة وصـفات وأخـلاق كريمـة تؤهلـه ليقـوم بـدور الداعيـة علـى الوجـه المطلـوب، متأسـياً فـى ذلـك بالأنبيـاء عليهم السلام فـى أخلاقهـم التـى بـين القـرآن الكـريم والسـيرة النبويـة جـزءاً منهـا، وهـذه الصـفات وتلـك السـيم وبعـض الخصـال والأخـلاق والشـمائل والخـلال هـو محـور الحـديث الـذي يـأتى توضيحه فى النقطة التالية فأقول وبالله التوفيق.

ثالثاً: بعض سيم الداعى إلى الله الخلقية

جـدير بالـذكر، وغـير خفـى عـن البيـان أن: (الإسـلام بحاجـة إلى رجـال- ونسـاء- يحسـنون عرضـه، ويقومـون علـى عمليـة الـبلاغ بصـدق ليقـدموه للنـاس نـوراً يبـدد الظلمـات، وجوابـا للأسـئلة الأبديـة التـى تـؤرق[2] عقـول البشـرية، وتقـض مضـاجعها، وتصـوراً صـحيحا لقضـايا الحيـاة

(١) أبيات من نظم الحاج أحمد أبو الحسن- أداء الشيخ أمين الدشناوى فى الاحتفال بليلة سيدى محمد نصير بزرقان تلا المنوفية عام٢٠١١

(٢) أرق أرقاً امتنع عليه النوم ليلاً فهو أرق وأرق، وتأرق امتنع عليه النوم-المعجم الوجيز ص١٣ طبعة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

والكون والإنسان.. لأنه هو الذى يستطيع- الإسلام ودعاته- أن يمد يده الحانية ليمسح عن الإنسانية جراحها

وحاجات البشرية إليه اليوم لاتقل أبداً عن حاجته الجسد إلى الروح أو حاجة الأرض الجدباء إلى قطرة الماء التى تروى عطشها وتبل صداها)[1]

وهذا أمر ضرورى لابد منه، وكى يقوم هؤلاء الدعاة بالمهمة التى يبلغون بها تلك الغاية النبيلة يتطلب تكوينهم الدعوى بجانب المكون الفكرى سيماً وأخلاقاً حسنة، وصالحة تصبح برهاناً ودليلاً حقيقياً أمام المدعوين على صدق وشرف دعوتهم

وهنا يأتى المقام والحديث لعرض بعض تلك السيم من مكارم الصفات الخلقية للداعى إلى الله ﷻ

بيد أني أنوه إلى أن لفظ السيم والخلق ورد ذكرهما فى القرآن الكريم، وسأكتفى بتعريف الخلق ولكن قبل هذا التعريف اذكر الدليل من القرآن الكريم على مجئ لفظ السيم فى آياته وهو جمع لكلمة سمة بمعنى علامة ويجوز الجمع على سمات مثل لغة جمعها لغات وفئة جمعها فئات، وعظة جمعها عظات قال تعالى عن أهل العفة ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ

(١) أزمة الإنسانية والبديل الحضارى د/السيد أحمد هندية ص٦:٥ بتصرف طبعة دار الوثائق

﴿إِلْحَافًا﴾[1] أيضاً عندما يذكر الله ﷻ بعض أوصاف الصحابة وعلاماتهم المنفردة يقول جل شأنه ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[2] ﷺ جميعا

تعريف الخلق: يعرف د/محمد عيسى ذكريا الخلق بأنه الطبع والسجية، ويفرق بين الخلق والتخلق فيقول: (كلمة خلق بضم الخاء واللام تجمع على أخلاق، وقد وردت كلمة خلق في القرآن الكريم والسنة المطهرة أما في القرآن فنجد قول الله ﷻ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[3] وأما فى سنة الشفيع النذير محمد ﷺ ماجاء عنه في الحديث.

قوله: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[4] رغم أن الرواية الشهيرة مكارم الأخلاق .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٣

(٢) سورة الفتح آية ٢٩

(٣) سورة القلم آية ٤

(٤) الآدب المفرد للإمام البخارى عن أبى هريرة باب حسن الخلق بلفظ صالح الأخلاق ص ٨٤ مكتبة الأداب القاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م ، وانظر السنن الكبرى مع الجوهر النقى للإمام الحافظ أبى بكر البيهقى جزء ١٠ كتاب الشهادة ص ١٩٢ ، فى رواية عجلان بعثت لإتمم صالح الأخلاق دار المعرفة لبنان طبعة ١ سنة ١٣٥٥هـ / وسلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ / محمد ناصر الدين الألبانى ، مجلد ١ حديث رقم ٤٥ وفى رواية لإتمم حسن الأخلاق فى شرح موطأ الإمام مالك تأليف عبد الله الزرقانى تحقيق إبراهيم عطوة جزء ٥ ص ٢٥١ طبعة ١ مصطفى البابى الحلبى ١٣٨٢هـ / ٩٦٢م .

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وتطلق اللغة كلمة أخلاق على الطبع والسجية، وبالرغم من هذين الإطلاقين فهناك فرق بين المدلولين، فالطبع يعنى الخلق الفطرى، بينما السجية تصدق على الفطرى والمكتسب معا، ويشهد لذلك ما ورد على لسان حسان بن ثابت ﷺ فى مدح الصحابة قوله :

سجية تلك فيهم غير محدثة. ∴ إن الخلائق فاعلم شرها

وهناك فرق بين الخلق والتخلق، فالخلق يطلق على الطبع والسجية كما أوضحت، أما التخلق فهذا تكلف إظهار ما ليس من الفطرة فتكلف بذل المال للمحتاج وتكلف عدم رد الإساءة لا يعتبر ذلك من صاحبها كرم ولا حلم .

والخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة بها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، وبغير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت تلك الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الحميدة الجميلة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كانت تصدر عنها الأفعال القبيحة سميت تلك الهيئة خلقا سيئا)[1].

يتضح إذا أن الأخلاق ما هى إلا سلوك يلتزمه المرء والناس يعاملوننا وفقا لسلوكنا معهم

(١) دروس فى التصوف والأخلاق د/ محمد عيسي زكريا ص ١٠٦ : ١٠٧ بتصرف طبعة ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وإذا كان مقررا فى دنيا البشر أنه لابد من تعاون الناس مع بعضهم البعض لتسير سفينة الحياة طبق السنة الإلهية و كما يقول الشاعر :

الناس للناس من بدو وحاضرة ∴ بعض لبعض وإن لم يشعروا

كذلك أيضا الأخلاق يتعاون بعضهما مع بعض مثلما يحدث بين الإنسان وبنى جنسه

يقول الرافعى مؤكدا ذلك (إن الأخلاق كما هو مقرر يدعوا بعضها إلى بعض، ويعين منها على شيء يماثله، ويدفع قويها ضعيفها، ويأنف عاليها من سافلها)[1]

ويرى د/ محمود محمد عمارة بأن وجود فضائل الأخلاق فى الإنسان وخاصة الداعية سلاح يستطيع به حسم المعركة وتغيير الواقع برمته[2] فيقول : (إنها فضائل الإنسان وسلاحه الذى يغير به الواقع ...الأمر الذى يفوض علينا صيانة المسلم ليصلح لقيادة الحياة بتغيير نفسه من الداخل بالتزكية، وتغيير اهدافه، وآماله، وحوافزه، ونظرته إلى نفسه، وإلى المجتمع من حوله)[3]

---

(١) وحى القلم للرافعى الجزء ٣ ص ٣٨١ لمصطفى صادق الرافعى تحقيق أيمن محمد عرفة المكتبة التوفيقة

(٢) الرمة الحبل يشد فى عنق البعير ومنه يقال أعطاه الشء برمته أى كله – المعجم الوجيز ص ٢٨٧ طبعة ١٤١٧هـ /١٩٩٢م

(٣) دراسات إسلامية فى الإجتماع د/محمود محمد عمارة ص ٤٩ مكتبة الإيمان بالمنصورة

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ويدعو فى موضع ثان الداعى إلى الله تعالى أن يكون لديه رصيد خلقى يشكل القوة المحورية لحياته، وبه ترجح كفة الميزان ويرقى فى دنيا البشر فيقول مبينا رصيد الأخلاق عامة فى محور حياة الإنسان : (لاحرج على الإنسان أن يتذوق ما حفلت به مأدبة الحياة من أطايب الطعام والشراب شريطة أن يسلم باطنه ورصيده الخلقى والذى يشكل مركز الثقل فى حياته)[1].

فإذا صار المرء على هذه الشريطة ترتب عليها بقاء الأمم عند التزامها بالسلوك على وفق سنن الله خاصة الأخلاق ، وإذا فقدت هذا السلوك ضلت، وهلكت يقول شيخنا د/ محمود عمارة : (العامل الحاسم الذى يقرر بقاء الأمة إنما هو التزام مطابقة النواميس الكونية الاجتماعية فى سلوكها ، تلك النواميس التى أرساها الله فى الكون وجعلها معبرة عن إرادته فى بقاء الأمم أو هلاكها .

فمن التزم السلوك على وفق منطقها فقد استحق البقاء، ومن ناقض أحكامها بسلوكه من الأمم فقد ضل وهلك لا محالة)[2].

والتزام المسلمين بسلوكهم الخلقى النبيل مع التحلى بالفضيلة والتخلي عن الرزيلة مكنهم الله به من هداية العالم بروح دينية، وهذه الروح الدينية لا بد أن يرتبط بها التعليم فى كافة مراحلة، وفى مرحلة الجامعة على وجه الأخص .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥١

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٥

ويبين الرافعى فى هذا المعنى خطورة عدم وجود تعليم به روح دينية فى الجامعة

فيقول : (إن المسلمين الذين هدو العالم قد هدوه بالروح الدينية التى كانوا يعملون بها

لا بإحلام الفلاسفة ..لا لا .

إن الفضيلة فطرة لا علم، وطبيعة لا قانون، ، وعقيدة لا فكرة، وأساسها أخلاق الدين لا أراء الكتاب .

إن التعليم فى الجامعة بغير دين يفصم الشخصية هو تعليم الرزيلة)[1] .

ووقفة تأملية على قدر المستطاع ترشدنا إلى ذكر بعض الفضائل، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات أو بمعنى أصح السيم الخلقية الطيبة التى ينبغى على الداعى إلى الله أن يتحلى بها، ويلتزم بتطبيقها إذا إلم يكن كلها فعلى الأقل أهم وأشهر هذه السيم .

وسأغض الطرف عن ذكر المثالب ، والمساوئ الخلقية المستهجنة، والصفات الذميمة، أو المرزولة والقبيحة التى تنقص من قدر الداعى إلى الله تعالى، بل قد تهدم دعوته وتنسفها، مع الأخذ فى الاعتبار ان التخلية مقدمة على التحلية ولكن ضرورة البحث تطلبت سلوك هذا المسلك وهو ذكر السيم الخلقية الحسنة.....

(١) وحى القلم للرافعى جزء ٣ ص ١٥٦ بتصرف

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وينبغى على الداعى إلى الله ﷻ أن يعلم علم اليقين، وبما لايتطرق إليه الشك: (أن البذل لهذا الدين، والتضحية من أجله ليست شعاراً يرفع أو دعوة يتشدق بها، وإنما هى وليدة عقيدة راسخة فى القلب تثمر الصدق والفاعلية)(١)

وتقود الناس إلى طريق الله المستقيم، وتخرجهم من الظلمات إلى النور وهذا هو أسمى أهداف الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى

ومع طائفة يسيرة لبعض أهم السيم الخلقية التى يتحلى بها الداعى إلى الله ﷻ

أولاً: الإخلاص والصدق:-

قد يظن ظان أن تلك السمة الإخلاص وذاك الخلق الصدق بينهما تشابه، وأنهما صفة راسخة وبمعنى واحد، علماً بأنهما من أهم مميزات الداعى إلى الله سبحانه وتعالى والأمر على خلاف ذلك فبينهما بون شاسع، وفرق واضح فربما يكون الإنسان صادقاً ولكنه ليس مخلصاً، وقد يكون مخلصاً وغير صادق

فالإخلاص علاقة داخلية، روحية، نفسية تربط بين العبد وربه، لكن الصدق هو علاقة خارجية تحدد علاقة الإنسان مع الإنسان التى تقتضى وتتطلب مطابقة الكلام للواقع قولاً أو فعلاً، وفقط يتفق الإخلاص مع الصدق عندما يترجم الصدق مع الإخلاص

(١) فى البناء الدعوى المجموعة الأولى تأليف أحمد بن عبدالرحمن الصويان ص١٧٤ بتصرف الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م مطابع الرياض كتاب المنتدى الإسلامى بلندن

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

معنى المشاعر الداخلية فى صورة ظاهرة وعندما يصدق الداعى إلى الله مع نفسه

وعلى كافة الأحوال أبين مفهوم السمتين كما يتسنى لى على النحو الآتى:

الصدق: مطابقة الكلام للواقع سواء كان هذا الكلام أو الحديث أو الخبر قاله الداعية عن شئ مضى أو شئ ينبئ بحدوثه فى المستقبل فيتحقق المنبأ به، أو يصف حاله حاضرة يراها هو ويشاهدها لغيره الذى لايراها فيصفها بكل صدق، ودقة، وحق تماماً كما نلحظ هذا الأمر عندما يأتى صوت معلق مباراة رياضية لمشاهديه عبر الأثير(راديو)أو كما يرسل مراسل التلفاز للقناة التى يعمل بها صورة تفصيلية عن مؤتمر أو حدث عالمى أو أياً ماكان، ولايكن بوسع كاميرات التصوير نقل هذا الحدث ...إلخ

الغاية من الصدق هو إظهار الحق دون أى إخفاء لجزئية من جزئياته، وحينئذ يكون الحال كما يروى أستاذنا الدكتور/محمود عمارة قائلاً: (إن الحق إذا وضح لايبقى للرأى ولا للفكر مجال)[1]

ويؤكد على هذه الرؤية ماجاء فى تعريف الصدق لغة من المعجم الوجيز ويزيد بعض الإيضاحات لمدلول الكلمة فيقول: (صدق فلان فى الحديث صدقاً أخبر بالواقع..وفلاناً أنبأه بالصدق..فلاناً

(١) نوح عليه السلام أول داع إلى الله من خلال آيات القرآن الكريم د/محمود محمد عمارة ص٥٦ مكتبة الإيمان بالمنصورة الطبعة الثانية

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

النصيحة والإيخاء، وفلاناً الوعد أوفى به فهو صادق وصدوق..ويقال هذا الشئ يصدق على كذا ينطبق عليه..صادقه اتخذه صديقاً..وعلى الأمر أقره ..الصديق الدائم التصديق والمبالغ فى الصدق والذي يصدق قوله بالعمل ..ولقب لأبي بكر الصديق ﷺ ..والصدق مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم..والأمر الصالح لاشية فيه من نقص أو كذب..والصديق الصادق الود والجمع أصدقاء..مصداق الأمر الدليل على صدقه..)[1]

أما الدلالة اللغوية للإخلاص الذي يعنى الشئ القائم بذاته دون اختلاط شئ به، أو قول الحق وفعله دون خوف أو رياء وسمعة بحيث لايبغى من هذا الأمر إلا وجه الله وفعل الشئ لذات الشئ دون النظر إلى الآخرين أيما كانوا ومهما كانوا

وفى عالم البشر دلائل تؤكد على هذا المفهوم بما يدور على ألسنة المتكلمين وفى عرفهم، فمثلاً يقال: هذا المعدن ذهب خالص بمعنى أنه لم يختلط به أى معدن آخر يفقد قيمته المتعارف عليها بأنه ذهب، ويقال: أعطى المشترى للبائع ثمن السلعة مبلغاً خالصاً أى لم يعد هناك أى علاقة يتبقى بها ارتباط بين البائع والمشترى فيما يتعلق بالثمن أو السلعة، وتقول المرأة لزوجها: خلصنى تريد الطلاق فيقول لها: خلصت فتصبح علاقة الزوجية بينهما قد انتهت، ويقول المحب المناجى ربه وداعياً أن يخلصه من ارتباط شهوات الدنيا به كى يصفو مع محبه فى نور الهداية ويزداد وصلا وقرباً به:

(١) المعجم الوجيز ص٣٦٢

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

خلصنى من أسر الطبيعة واهدنى ∴ بنورك يا الله وواصل قطيعتى

ويحدد صاحب القاموس المدلول اللغوى لاشتقاق الكلمة من خلص قائلاً: (خلص الشئ من التلف خلوصاً من باب قعد وخلاصاًومخلصاً سلم ونجا، وخلص الماء من القدر صفا، وخلصته بالتثقيل ميزته من غيره، وخلاصة الشئ بالضم ماصفا منه مأخوذ من خلاصة السمن وهو مايلقى فيه تمرأو سويق ليخلص به من بقايا اللبن، وأخلص لله العمل، وسورة الإخلاص إذا أطلقت (قل هو الله أحد)، وسورتا الإخلاص أى قل هو الله أحد وقل ياأيها الكافرون)(١)

أما موقع وأهمية الإخلاص للداعى إلى الله سبحانه وتعالى فيتجلى المراد منه فى المقولة التالية: (إن الإخلاص سر عظيم من أسرار نجاح الداعية المسلم، وتوفيقه فى عمله الدعوى سواء كان خطيباً أم كاتبا أم شاعراً أم محاوراً، ومناظراً..والداعية المخلص المتجرد للحق

يسدده الله ويجرى الحق على قلبه ولسانه، والمرائي –والعياذ بالله- يكله الله ﷻ إلى نفسه، وقد قيل بحق: إذا نبت الإخلاص من الأرض نزل التوفيق من السماء

ومن هنا فالداعية الحق هو من يقصد بجميع أعماله وجه المولى جل جلاله، ويحرص على ذلك دائما امتثالاً لقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(٢) (٣)

---

(١) المصباح المنير للرافعى جزء ١ ص٢٤٢

(٢) سورة الكهف آية ١١٠.

(٣) فقه الدعوة فى ضوء موقف جعفر أمام النجاشى ﷺ دراسة دعوية تحليلية د/اسماعيل على ص٦٠ مؤسسة شروق للترجمة والنشر ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وقد أفصح عن سمة الإخلاص فى الدعوة جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام عندما أعلنوا لمن أرسلوا إليهم أنهم لايبتغون ولايسألون مالاً، ولاأجراً أو أى شئ فيه نفع لهم، وإنما الهدف المعلن الذى لاخفاء فيه هو مصلحة المدعوين، والدعوة أجرها على رب العالمين، وعلى سبيل الاستشهاد يقص القرآن الكريم خطاب سيدنا نوح لقومه مبيناً هذا الأمر ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩)﴾[1]

يشرح تلك الآيات معلقاً عليها د/محمود عمارة قائلاً: (لابد لنجاح الدعوة من هدف واضح، وفى نفس الوقت يرعى مصلحة المدعوين، ومن أساسيات الدعوة أن تكون مطلوبة لذاتها لما يتوفر فيها من عناصر الخير.وألا يكون الداعى راغباً فى مجد شخصي، وإنما همه الأكبر هو الدعوة الدعوة أولاً وأخيراً

وقد نفت الآيات الكريمة عن الرسل كل مايدعو الناس إلى الإيمان بمبدأ مافى دنيا الناس من المنافع المادية لتظل الدعوة أبداً هم الناس جميعا)[2]

وهكذا يتحقق الإخلاص عند الداعية فى أنه لايريد بدعوته إلا وجه الله تعالى، فلا غرض له فى الحصول على مكانة اجتماعية مرموقة بين الناس على حساب دينه، ولايهتم أصلاً بثناء البشر أو

(١) سورة الشعراء آية ١٠٥:١٠٩

(٢) نوح عليه السلام أول داع إلى الله من خلال آيات القرآن الكريم ص١٣٨ مرجع سابق

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

مدحهم فمثل هذه الأشياء لاتأخذ من حيزه الفكرى شيئاً لأنه مشغول بدعوته عن النظر إليها

ويوصى د/ حسن عبدالحميد حسن الداعية بأن يكون حريصاً على الإخلاص قى السر أكثر منه فى الجهر فيقول: (ليكن الداعية أحرص على إصلاح سره منه على إصلاح جهره وليكن اهتمامه بنظافة باطنه أكثر من اهتمامه بنظافة ظاهره..

وعلى الداعية أن يكون صريحاً مع نفسه فلا يخادعها ومع الناس فلايرائيهم)[1]

تزداد أهمية الحرص على الإخلاص لدى الداعى إلى الله ﷻ عندما يتأمل آيات القرآن الكريم ويتدبرها وأيضاً أحاديث النبي ﷺ مسترشداً بها فيتبين له أن الله قد كرم أهل الإخلاص وأثنى عليهم، وأوصى بهم، وأنه قد ذم المرائين وأحبط عملهم، وصنعهم، وقولهم حتى ولو صدقوا فيه ظاهرياً كما يشاهده الناس

ذلك أن الإخلاص عمل قلبى وسر مكنون لايعلم، ولايدرك كنهه إلا الله ﷻ

أما الصدق فهو عمل ظاهرى للجوارح يشاهده الناس، ويعلمونه، ويرونه

(١) الخطابة الدينية علم وفن وسلوك د/حسن عبدالحميد حسن ص٢٠٤ بتصرف الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م- دار الوفاء

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

يشير إلى ماذكر أنفاً د/عطية مصطفى فيقول: (لقد أمر الحق عباده بالإخلاص في مواضع كثيرة من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾(١)

ومدح الإخلاص وأهله وأوصى رسول الله ﷺ بأهل الإخلاص خيراً فقال: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢) وأمره للنبي ﷺ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾(٣)

فقد بين الرسول ﷺ أن الذى يرائي الناس بعمله لايجد يوم القيامة شيئا لأنهم لايملكون مع الله حينئذ لهم ولا لغيرهم نفعاً ولاضراً

يقول رسول الله ﷺ: (إذا جمع الله الأولين والأخرين ليوم لاريب فيه نادى منادى من كان أشرك فى عمل عمله لله ﷻ أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك..وقال ﷺ: (لايدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء..)(٤)

---

(١) سورة الزمر آية ١٤

(٢) سورة الأنعام آية٥٣

(٣) سورة الكهف آية ٢٨

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه ص٣٦ حديث رقم ١٤٨

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

لذلك كان أهل الإخلاص دائماً على خوف من ألا تقبل أعمالهم، فهم متقلبون بين الخوف والرجاء .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: (يا رسول الله - الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة – هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟

قال : لا يا بنت الصديق ولكنه الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل)

وهكذا رواه الترمزى وابن أبى حاتم من حديث مالك بن مغول بنحوه وقال : (لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويصدقون وهم يخافون ألا يتقبل الله منهم أولئك يسارعون فى الخيرات)[1].

وقد مجد سيدنا عمر بن الخطاب، سيدنا سعد بن جبل رضي الله عنهما عند قبر النبى ﷺ يبكى فقال : ما يبكيك.. ؟ قال معاذ : حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول : (إن يسير الرياء شرك وإن من عادى لله وليا فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من غبراء مظلمة ..ومما يحضرنى فى هذا المجال تأكيدا على حال أهل الإخلاص فى سلوكهم مع الله،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير المجلد الثالث ص٢٤٨ بتصرف دار المنار ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ومقامهم مع الناس قصة صاحب السر أسردها من وحى الذاكرة وبيانها كالآتى: -

اشترى رجل غنى مملوكا يخدمه وكان شرط البيع أن يعمل هذا المملوك لسيده طيلة النهار ويتركه بقية الليل ....ومرت الأيام المملوك يخدم من اشتراه وأهله بالنهار وعندما يعسعس الليل يذهب إلى غرفته يغلقها عليه وليس له علاقة بسيده ...

وأراد هذا السيد المشترى أن يعرف لماذا يفعل المملوك هذا ؟ وتعجب من حاله يخدمه بالنهار كاملا ويتركه باليل !! .....وفى إحدى الليالى ذهب هذا السيد بصحبة امرأته إلى غرفة المملوك ونظر من ثقب الباب، وفوجد غرفة العبد كلها أنوارا لا يعرف مصدرها، ونظرت زوجه أيضا فتأكدت من وجود النور مع أنه ليس مع المملوك مصابيح أو قناديل أو وسائل إضاءة أخرى .

ونظرا مرة ومرة بل مرات عدة فوجد العبد فى سجود وعبادة مع خالقه ....حينئذ أدرك السيد وزوجه أن هذا المملوك أفضل عند الله منهما .

وعندما أصبح الصباح أراد الرجل وإمرأته أن يتركا المملوك يتفرغ للعبادة، ولا يؤدى لهما أى خدمة أو عمل فلما سألهما هذا العبد عن حقيقة الأمر وأقسم عليهما بالله أخبراه بما شاهداه فى غرفته، وحاله بالليل .

فاستأذنهما العبد وذهب إلى الحجرة وناجى ربه قائلا :

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

يا صاحب السر إن السر قد ظهر فلا أريد بقاءا بعدما اشتهر فأدركته منية الموت.

ويفرق النبى ﷺ بين أنواع القتال، ويحدد أن الجهاد الحقيقى هو لمن قاتل لأجل كلمة الله والمقاتل حقا وصدقا فى سبيل الله .

قال الإمام الجنيد : قال أبو موسي الأشعري رضي الله عنه سئل رسول اللهﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله ؟..

فقال رسول الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله فالحمد لله يحب العابدين المخلصين، ويبغض الخاملين والمرائين[1])

وقد ورد فى صحيح الإمام مسلم ما يشابه هذا الحديث عن الجهاد بألفاذ مختلفة منها (أن رجل أعرابيا أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنى، الرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه .... فمن فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو فى سبيل الله)[2]

والإخلاص يزيد المرء جمالاً، ونضارة، وبهاءً وحسناً، ومن النوادر التى رويت عن بعض النساء الجميلات لبيان ذلك

---

(١) أهمية الخطابة وفنون القول فى الدعوة إلى الله إعداد وترتيب د / عطية مصطفى ص ١٢٠: ١٢٣ بتصرف دار الأندلس للطباعة والنشر شبين الكوم ١٤٢٩هـ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا رقم ١٤٩ ص ٥٢٨.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

(سئلت امرأة مؤمنة عن أدوات تجميلها فقالت: استخدم الصدق لشفتى، والقرآن لصوتى، والشفقة والرحمة لعينى، والإحسان ليدى، والاستقامة لقوامى، والإخلاص لله قلبى)[1].

وبعد بيان الإخلاص وفضله وأهميته للداعى إلى الله ﷻ، أتبع هذا البيان بالحديث عن الصدق وعلاقته بالداعى إلى الله كسمة من السيم الخلقية الحسنة التى ينبغى للداعية أن يتصف ويتحلى بها وذلك فى العبارات التالية فاقول وبالله التوفيق.

الصدق:

الأخلاق - فى الإسلام- الطيبة، والصفات الحسنة والنبيلة لا تقف عند الفردية بل إنها تتميز بالشمولية، حيث لم تدع جانباً من جوانب الإنسان إلا أحاطت به جسمياً وروحياً، ودينياً، ودنيوياً، وعقلياً، وعاطفياً..إلخ

ومن هنا تصنع للإنسان وخاصة - المسلم- السلوك الأمثل فى التعامل والحركة فى كافة، فى المجالات السابقة بدءاً من علاقة المرء بنفسه على أساس أنه مخلوق مركب من جسد وروح، مروراً بعلاقته بغيره كالزوج، الأبوين، والأقارب، والأرحام، والجيران، ثم علاقته بالكون ومافيه من جمادات وحيوانات وطيور.. وانتهاء بعلاقته الفكرية مع عالم الغيب

---

(١) مائة قصة وقصة تأليف محمد أمين الجندى ص٤٥ مكتبة أم القري الناشر مكتبة النجاح بنى سويف بدون تاريخ .

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ومن هذه السيم الخلقية بل على رأسها بعد الإخلاص الصدق.

ويدور الحديث عن هذه السمة الخلقية فى النقاط التالية: -

أولاً: اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بالصدق والحث عليه:

لقد جاءت فى آيات القرآن الكريم أمثلة وبراهين كثيرة تبين مدى عناية كلام الله ﷻ بالصدق وأهله، ولم يتوقف الأمر عند حد الاهتمام بهذا الخلق، إنما جاء اللفظ الصريح، والأمر المباشر فى نداء الله ﷻ لأهل الإيمان أن يصدقوا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1]

والنبى ﷺ قد أكد على هذا الأمر فى الحديث الذى رواه – الإمام الترمذي فى سننه عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنّ الْبِرّ يَهْدِي إِلَى الْجَنّةِ، وَمَا يَزَالُ الرّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرّى الصِّدْقَ حَتّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللّهِ صِدّيقًا....)[2].

وليس معنى ذكر الرجل أن المرأة غير مطالبة بالصدق، ودليل ذلك أن القرآن الكريم جمع صفات أهل الخير ذكرانا وإناثا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ

(١) سورة التوبة آيه ١١١

(٢) سنن الإمام الترمذي كتاب البروالصلة، باب ما جاء فى الصدق .

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (١).

ثانيا : الصدق صفة من صفات الله ﷻ والأنبياء والمرسلين والأتقياء المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين : .

أ- صفة من صفات الله ﷻ : -

قال الله ﷻ فى قرآنه مبينا ذلك فى أكثر من موضع كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ (٢)

وقوله جل شأنه: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (٣).

وقال عز من قائل ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾ (٤)، وقال ايضا سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٥)، وقال

(١) سورة الأحزاب آيه ٣٥
(٢) سورة النساء آيه ٨٧
(٣) سورة النساء آية ١٢٢
(٤) سورة آل عمران آيه ١٥٢
(٥) سورة الأحزاب آيه ٢٢

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

تعالى تقدست صفاته: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1]

بـ صفة من صفات الرسل والأنبياء عليهم السلام :-

أثنى الله ﷻ على النبيين والمرسلين فى القرآن الكريم وبين أنهم أشد الناس حرصا على التحلى بالصدق، ومن الأمثلة على ذلك قوله عز جل شأنه : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[2]

وقوله عن خاتم النبيين محمد ﷺ ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[3].

وعن جميع المرسلين قوله تعالى : ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[4].

ونبينا محمد ﷺ اشتهر في مكة قبل مبعثة، ولقب بين أهل قريش بالصادق الأمين، وهذا أمر ثابت فى التاريخ والسيرة إذ أن الصدق واجب فى حق الأنبياء والرسل عليهم السلام وأمر عقيدي، وقد نظم صاحب الخريدة أبو البركات الدردير مؤكداً ذلك: (وصف جميع

---

(١) سورة الفتح آية ٢٧

(٢) سورة مريم آيه ٥٤

(٣) سورة النجم آيه ١ : ٤

(٤) سورة يس آيه ٥٢

الرسل بالأمانة، والصدق، والتبليغ والفطانة، يقول المحقق الشارح : - إن الصفة الثانية الصدق، والصدق أى فى دعواهم الرسالة فى تبليغ الأحكام وهو مطابقة حكم الخبر للواقع.. والخبر: الكلام الذي يقبل الصدق والكذب لذاته.

للواقع: عرف الشارح ﷺحقيقة الصدق.ليعرف منه الصدق الواجب فى حق الرسل عليهم السلام، وقد أضاف الإمام السنوسي فى تعريف الصدق:

سواء وافق الاعتقاد أم لا إشارة إلى أن صدق الرسل عليهم السلام معناه: موافقة أخبارهم للواقع فى نفس الأمر لا اعتقادهم فقط، إفادة للوثوق بأخبارهم عليهم السلام قال تعالى واصفاً نبي الله يوسف: ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [1] على لسان امرأة العزيز قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ الآية الكريمة المذكورة دليل نقلى على ثبوت الصدق فى حق الرسل عليهم السلام وكذلك نظائرها، ولأنهم لو جاز عليهم الكذب للزم الكذب فى خبره- تعالى- لأنه تعالى صدقهم بالمعجزة النازلة..منزلة قوله: صدق عبدى فى كل مايبلغ عنى..وتصديق الكاذب كذب محض، والكذب على الله تعالى محال لأنه نقص ومأأدى إلى المحال محال وهذا دليل عقلى..)[2]

---

(١) سورة يوسف آية ٥٢

(٢) شرح الخريدة البهية للعلامة أبى البركات أحمد الدردير تحقيق وتعليق أ.د/ فتحى عبد الرازق ص ٥٣:٥٧ بتصرف الطبعة الثانية ١٤٣٤/١٤٣٥هـ - ٢٠١٣/٢٠١٤م قطاع المعاهد الأزهرية

جـ: صفة من صفات أهل الإيمان الأتقياء والأبرار: -

هذا ما أخبر عنه الله سبحانه فى آيات الذكر الحكيم ومن الأمثلة على ذلك قوله:

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾[1] ، وقوله ايضا ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[2]

ثالثا : جزاء وثواب الصادقين :

ينال الصادقون أجرا عظيما ، وثوابا كريما يليق بصدقهم، وقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى بعض منه، وأكد المصطفى ﷺ عليه فمثلا قال الله ﷻ ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾[3].

وأفضل جزاء للصادق لسبب صدقه حب الناس واحترامهم له، وعلو شأنه وثقتهم به، ورضا الخلق عنه فى الدنيا .

---

(١) سورة آل عمران أيه ١٦ : ١٧

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٣

(٣) سورة الأحزاب آية ٢٣

أما فى الآخرة فجزاؤه الجنه قال تعالى : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾(١).

ومعلوم أن من يصدق الله يصدقه الله ﷻ، ومن الأصناف الذين أعد لهم المولى سبحانه وتعالى المغفرة والأجر العظيم أهل الصدق قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢).

وحسب الصادق شرفا أن صدقه يهديه إلى البر، البر يأخذ به إلى الجنة كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى عندما قال فى الحديث الذى رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال

(١) سورة آل عمران آيه ١٥ : ١٧

(٢) سورة الأحزاب آيه ٣٥

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

رسول الله ﷺ (إن الصدق يهدي الى البر، و إن البر يهدي الى الجنة، و إن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا..)[1].

ولقد نال سيدنا يوسف عليه السلام الشرف، والرفعة، والبراءة الحقيقية، والخروج من السجن معززا مكرما بفضل صدقه بعد ما فسر الرؤيا لملك مصر تفسيرا صحيحا صادقا عجز عنه الملاء والكهنة .

إذ طلب الملك خروجه والحضور عنده، والإتيان به فرفض تربية الدعوة إلا بعد التحقيق فى تهمته وقضيته، وقد حدث، وهذا الموقف صوره القرآن الكريم ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [2].

حظى سيدنا يوسف عليه السلام بالماكنة التى جعلته عزيزا يلجأ إليه الناس أيام المحن والسبع سنوا ت العجاف يتزودون بالطعام والقوت وكان عليه السلام خير المنزلين.

---

(١) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله حديث رقم ٢٦٠٧ ص ٦٩٨

(٢) سورة يوسف آيه ٥٠ : ٥٢

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ولقد أعطى السابقون إلى الإسلام ممن صدق بدعوة خاتم النبيين ﷺ أسمى شيمة وأعلى نوط، وشرف إلهى ذلك هو آيات تتلى إلى أن تقوم الساعة باقية بقاء الخلود القرآنى، وحكم المولى ﷻ بفلاحهم وهم فى ظلال رأفة الله ورحمته بما يقدم لهم فى صحائف الأعمال من دعاء مَن جاء بعدهم قال تعالى :

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[1].

وهكذا كانت صفات المهاجرين والأنصار ومن تبعهم إلى يوم الدين هم الصادقون، وهكذا كان الجزاء .

وقصة الثلاثة الذين خلفوا التى نزل بشأنها كلام الله يبين صدقهم وأن الله ﷻ مَن عليهم بالتوبة والرحمه جزاء لعدم كذبهم على رسول الله ﷺ فى غزوة العسرة خير مثال على فضل الصدق وأهله، وشرف الصادقين ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ

(١) سورة الحشر آيه ٨ : ١٠

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ (١)

يروى سيدنا كعب بن مالك أحد هؤلاء الثلاثة القصة وأذكر منها اللحظات النهائية فيها .

(...فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال : ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على {صعد على} جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال : فخررت ساجدا ، وعلمت أن قد جاء فرج قال : وأذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا ، فذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرسه وسعى ساع من أسلم قبلى وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبيا فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأمم {أقصد} رسول الله ﷺ فتلقانى الناس فوجا فوجا يهنئوننى بالتوبة ويقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ حوله الناس فقام طلحة بن عبد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال : فكان كعب لاينساها لطلحة ، قال كعب

(١) سورة التوبة آيه ١١٧ : ١١٩

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ..! قال فقلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ...؟ فقال : لا بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر قال : وكنا نعرف ذلك قال : فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله ﷺ : أمسك بعض مالك فهو خير لك فقلت : فإنى أمسك بسهمى الذى بخيبر قال : وقلت يا رسول الله إن الله إنما أنجانى بالصدق وإن من توبتى ألا أحدث إلا صدقا ما حييت قال : فوالله ما علمت أحد من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحيث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلانى الله، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقيا يقال فأنزل الله ﷻ (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين ..... حتى بلغ: اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب : والله ما أنعم الله عليا من نعمة قط بعد إذ هدانى الله للإسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا...)[1]

لذا وجب على الداعى إلى الله تعالى أن يكون عنده صدق اللهجة وصدق القول وصدق العمل يقول د/ فوزى رسلان (إن غاية الداعية التأثيرا فى مدعويه هذا التأثير لا يكفى فى قيام الأدلة المساقة لسداد حجته، بل لابد من التجمل بالأحوال المرغبة، والتحلى بالآداب

(١) مائة قصة وقصة فى أنيس الصالحين وسير المتقين – محمد أمين الجندى ص ١٥٩ : ١٦٠ بتصرف .

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

النفيسة، وبذلك سيستولى على الناس، ويقودها إلى ما يريد منها، ومن هذه الآداب .... صدق اللهجة وصحة القول ..... وهذا يعنى أن الداعية يكون مخلصا فيما يدعوا إليه حريصا على الحقيقة لايزيد أو لا ينقص، ومن أجل هذا لابد أن يكون من حاله ما يطابق مقاله، فلا يجافى فى عمله عن قوله وبذلك تطمئن القلوب إلى تصديقه، وتمتلئ النفوس ثقة به)[1].

إذ توفر فى الداعى إلى الله تعالى الإخلاص والصدق فاز ونجح ، وربحت دعوته واستحوذ على ثقة مدعويه، ونال رضى المولى سبحانه ورضى الصالحين .

وإذا كان الإخلاص والصدق هما الأساس الأول فإن هناك أيضا بعضا من الأخلاق يجب أن يتصف ويتحلى، ويتسم بها الداعى إلى الله عز شأنه واذكر فيما يلى بعضها .

ثانيا : الشجاعة والعزة :ـ

إن البذل لهذا الدين والتضحية من أجله ليست شعارا يرفع أو دعوى يتشدق بها، وإنما هى وليدة عقيدة راسخة فى القلب تثمر الصدق والفاعلية، فيترتب على ذلك هداية الإنسانية و(ليست الإنسانية بهذه السهولة الذى يظنها من يظن، وإلا ففيم كان تعب الأنبياء، وشقاء الحكماء وجهاد أهل النفوس)[2].

---

(١) محاضرات فى الخطابة د / فوزى عبد العظيم رسلان ص ٤٧ :٤٩ بتصرف بدون طباعة ولا سنة نشر

(٢) وحى القلم للرافعى جزء ٣ ص ١٠٦

وعلى ذلك حرى بالداعية إلى الله تعالى أن يتخلق بالشجاعة والعزة ولكليهما حد وهو كما يذكر د / محمود رسلان : (للأخلاق حد متى تجاوزته صارت عدوانا ، ومتى قصرت عنه كان نقصا ومهانة .... فللشجاعة حدا إذا تجاوزته صار تهورا ومتى نقصت عنه صار جبنا وخورا ...وللعزة حد إذا جاوزته كان كبرا وخلقا مذموما وإذا قصرت عنه انحرف إلى الذل)[1].

ولا يقتصر الأمر فى الشجاعة والعزة على حد معين، ولكن الشجاعة تضيف لصاحب الخلق قوة فهى – الشجاعة – قوة لأنها انتصار على الجبن .

والعزة يبين قوتها وأهميتها ، وشرف التمسك والتحلى بها قول الشاعر :

لا تَسْقني ماءَ الحياةِ بذِلّةٍ ∴ بلْ فاسْقني بالعزِّ كاس
ماءُ الحياةِ بذلّةٍ كجَهنَّم ∴ وجهنَّمٌ بالعزِّ أطْيبُ منْزل[2]

والأبيات لا تحتاج لشرح، فمهما كان شدة العذاب ولو فى جهنم بعز وشرف فهو أطيب منزل وذلك على سبيل المبالغة وذاك لأن العذاب فى جهنم ليس فيه عز ولا شرف، وإلا لكان فرعون وهامان وقارون وإبليس والكفار فى عز وسعادة وهذا غير معقول.

---

(١) الخطابة نشأتها وميادينها أ.د / محمود محمد رسلان ص ١٦٠ بتصرف طبعة ٣ .. ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م دار التقوى .

(٢) ديوان عنترة بن شداد العبسى قصيدة كأس الحنظل الأبيات ٢١ : ٢٢

والأفضل فى المبالغة هى الحكمة المتداولة :

"ضربة بالسيف فى عز خير من ألف ضربة بالسوط فى ذل"

وقد نوه أ.د / محمود عمارة إلى بيان الأثر المترتب على فقدان العزة والشجاعة وذلك عند التخلق بنقيضهما – المذلة والجبن- قائلا: (تعود المذلة يميت فى النفوس حماسا للحق، وتحس الأمة بعجز يقيد حركتها، وتعقد همتها ولا تنشط لعمل صالح ..واليد الراعشة والجسد الواهن روحيا، وبدنيا لايحقق النصر، فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير.

وإذا فلابد من حركة قوية مادية يسايرها من الداخل يقين يجعل لهذه الحركة قيمة)[1].

وعلى هذا الأساس لابد للداعية أن يتصف بالشجاعة والجرأة فى الحق، لايهاب أحد فى الجهر به، ولا تأخذه فى نصرة الإسلام لومة لائم ولا قعدة قاعد ولا قومة قائم .

يقول ا.د/ حسن عبد الحميد حسن : (إن الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل، والعدل والظلم، لا يطفئ لهيبه، ولاتخمد جذوته منذ آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولهذا أرسل الله الأنبياء والمرسلين دعاة وهداة إلى توحيد الله، وإقامة الحق بين

(١) دراسات إسلامية فى علم الإجتماع أ.د/ محمود محمد عمارة ص ٢٥٠ بتصرف مكتبة الإيمان بالمنصورة .

البشر قال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١) .

وأمر الله محمد ﷺ أن يصدع بكلمة الحق لا يخشى فى الله لومة لائم قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٢).

والحق ما جاء به محمد ﷺ من عقائد وتشريعات وعبادات وأخلاق ونظم ومعاملات قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾(٣) (٤)

هذا ولقد اتسم النبى ﷺ بالشجاعة النادرة، والجرأة الواضحة سواء فى مراحل تبليغ دعوته وعرضها على الناس، وعدم التهاون أو التنازل عن سبيلها مقابل

غرض أو متاع من الدنيا فى مكة، وكان رده على عمه أبى طالب : (ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته)(١).

---

(١) سورة الإسراء آيه ٨١

(٢) سورة الكهف آيه ٢٩

(٣) سورة التوبة آيه ٣٤

(٤) وانظر الخطابة الدينية علم وفن وسلوك ص ٢٠٧ : ٢٠٨ بتصرف د / حسن عبد الحميد حسن طبعة ١ سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أما عن شجاعته وجهاده المسلح بعد الهجرة للمدينة فيتحدث مستنبطا من أحاديث المصطفى ﷺ التى تحث على الجهاد وتغيير المنكر مؤلف كتاب الخطاب الدينى علم وفن وسلوك قائلا : (ولقد اتصف بالشجاعة والجرأة النادرة سواء خاصة فى مراحل الجهاد المسلح فى المدينة يقول ابن عمر رضي الله عنهما: ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود من رسول الله ﷺ ...

وما كان لصوت الإسلام أن يعلو أو يرفع لواؤه إلا بما اتسم به ﷺ وأصحابه من الشجاعة الأدبية والعقيدية التى تدفعهم إلى إعلان دعوة الإسلام دون خوفا أو وجل، ولسان حالهم ما قال أحد شجعانهم وهو يلفظ أنفاسه تحت وطأة التعذيب قبل أن تفيض روحه إلى بارئها مستعذبا الجهاد والاستشهاد فى سبيل نصرة الحق أيما كان وبأى شيء كان قتله – وهو سيدنا خبيب :

ولست أبالى حين أُقتَلُ مسلما ∴ على أى جنب كان فى الله

كذلك ما ورد فى السنة من أقوال تدعوا إلى الشجاعة فى الحق عن أبى سعيد الخضرى رضي الله عنه قال – قال رسول الله ﷺ : أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.... وروى الإمام مسلم قول رسول

(١) الرحيق المختوم للشيخ / صفى الرحمن المباركفورى ص ٧١ مكتبة المورد طبعة ١ سنة ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الله ﷺ : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[1].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : والذى نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يستجاب لكم، هذه الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة توضح وجوب الصدع بكلمة الله وكلمة الحق. .والشجاعة فى الرأى بغير إسفاف أو تطاول أو تجريح لأحد)[2]

أيضا هذه الشجاعة والعزة التى ينبغى أن يتمسك الداعى إلى الله بها لإجل نشر الدين ليست بالأمر الهين ذلك .

(إن مسؤلية حمل الدين وتبليغه أمانة شرعية حملها الله تبارك وتعالى عباده، فقد أوجب عليهم الأمر بالمعروف والمنهى عن المنكر، بل جعله مع الإيمان مناط خيرية هذه الأمة، ويرد فى مواطن كثيرة ضمن صفات المؤمنين أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب كون النهى عن المنكر من الإيمان أن الإيمان يزيد ونقص وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان حديث ٧٨ ص ٢٨ مكتبة أولاد الشيخ للتراث .

(٢) الخطابة الدينية علم وفن وسلوك ص ٢٠٨ :٢١٠ بتصرف .

وجعل النبى ﷺ أضعف الإيمان أن ينكر المرء المنكر بقلبه وأنه ليس وراء ذلك حبة خردل)[1].

وجميع الأنبياء والرسل ضربوا لنا أروع الأمثلة فى الاتصاف بالشجاعة كى يتأسي الدعاة بهم، وموقف كليم الله موسي عليه السلام وهو يواجه، ويخاطب، ويحاور فرعون الذى ادعى الألوهية برهان على هذه السمة قال تعالى :

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ

(١) تأملات فى العمل الإسلامى تأليف محمد بن عبد الله الدويش ص ٨٨ طبعة ١ سنة ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م كتاب المنتدى الإسلامى بلندن.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾[1].

والأمر لا يتوقف عند الرسل والأنبياء ودعاة التوحيد بل إن (تاريخ الدعوة الإسلامية يتألق بأعلام صدعوا بكلمة الحق فى شجاعة وثابت، فلم تلن لهم قناة، ولم تضعف لهم عزيمة، بل واجهوا جبروت الظالمين وهم عزل من السلاح سوى الكلمة الأمينة الهادفة فزلزلوا دول الباطل وجنده ..

ولو ذهبنا لسوق الأمثلة من تاريخ الدعوة والدعاه لطال بنا المقام ولكن نذكر على سبيل المثال لا الحصر شهداء صدر الإسلام، ومواقف التابيعن ضد الحكام الظالمين.....

ومن ذلك مواقف الأئمة - الحسن البصرى، وأبى حنيفة ، أحمد بن حنبل، وابن تيمية – والشيخ / عز الدين بن عبد السلام وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وغيرهم كثر لم يخل عصر من مواقفهم الشجاعة [2]

وأبرز الأمثلة على ذلك موقف أول شهيدة فى الإسلام السيدة سمية أم عمار بن ياسر رضى الله عن الجميع التى صدعت بكلمة الحق صريحة أمام أبى جهل اللعين فما كان منه إلا أن طعنها بحربته غظا وانتقاما بقول المباركفورى : (مات ياسر فى العذاب وطعن أبو

(١) سورة طه آيه ٤٧ : ٦١

(٢) الخطابة الدينية علم وفن وسلوك ص ٢١٠ بتصرف

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

جهل سمية أم عمار فى قبلها بحربة فماتت وهى أول شهيدة فى الإسلام)[1].

فحظيت تلك المرأة الشجاعة الباسلة بالشهادة وشرفها.

سمية لا تبالي حين تلقي ∴ عذاب الكفر يوماً أو تلينا

وتأبى أن تردد ما أرادوا ∴ فكانت في عداد الخالدينا

وسيدنا ربعى بن عامر ﷺعندما يدخل على رستم ملك الفرس قبل موقعة القادسية فيألله ما جاء بكم ..؟؟ فيجيبه بعزة وشجاعة لا تقدر ولاتوصف ..! : (إن الله قد ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)[2].

ولا يستطيع صاحب دعوة حق أن يتكلم بمثل هذه الشجاعة إلا إذا كان على صلة قوية بالله تعالى و ..(مما لاشك فية أن صلة الداعية بالله تورث فية الشجاعة، والثبات على الحق، وعدم الخوف إلا من الله ﷻ وهذا يؤدى إلى نشر دعوته بين الناس ..لأن المجتمع إذا رأى داعية شجاعا جريئا ثابتا على الحق معتزا به فإنهم يلتفون حوله ويؤيدون دعوته .

(١) الرحيق المختوم للشيخ / صفى الرحمن المباركفورى ص ٦٦ .

(٢) ماذا خسر العالم بأنحطاط المسلمين تأليف العلامة أبو الحسن الندوى ص ٨٩ مكتبة الإيمان بالمنصورة طبعة ١٣ سنة ١٤٠١هـ /١٩٨١م

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وبذلك يستطيع بالشجاعة والثبات على الحق والعزة أن ينصر دينه ويبلغ رسالته .

فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال : بايعنا رسول الله ﷺ على أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم .

فالداعى إلى الله تعالى كالطبيب الذى يراعى حالة المريض، فيبين له وينصحه، ويصف له الدواء المناسب .

والداعى لايخشى الناس فى الحق بل عليه أن يوضح ويبلغ ويعرف الناس الشر فيجتنبوه

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال – قال رسول الله ﷺ : لا يحقر أحدكم نفسه قالوا يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه..؟! قال: يرى أمرا لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه ...فيقول الله ﷻ يوم القيامة ما منعك أن تقول في كذا..وكذا فيقول : خشية الناس فيقول فإياي كنت أحق أن تخشى..

وعن أبى ذر الغفارى ﷺ قال: (أوصانى خليلى ﷺ بخصال من الخير..أوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم، وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرا

فعلى الداعية أن يقتدى برسول الله ﷺ فى أفعاله، وأقواله حيث كان لا يخشى فى الله لومة لائم، وأن يتأسى بصاحبته ﷺ الذين كانوا يقولون الحق ولو كان مرا ، وعليه أن لا يداهن فى دعوته من

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أجل جاه أو سلطان ولا يمالئ أصحاب المنكرات، ولا يظهر الموافقة على ضلال لأنه قدوة للناس فى كل ما يقول ويفعل)[1].

وبتلك الشجاعة وهذه العزة التى يتسم ويتصف ويتحلى بها الداعى إلى الله يفلح وينجح فى تبليغ رسالة الإسلام للناس .

وإلى سمة ثالثة من السمات التى ينبغى أن يتخلق بها الداعى إلى الله تعالى وهى شيمة من أهم الشيم وصفة من أحسن الصفات ... ألا وهى القناعة والعفة واليأس مما فى أيدى الناس .

ثالثا : القناعة والعفة واليأس مما فى أيدى الناس

من أهم السمات التى ينبغى أن تتوفر فى الداعى إلى الله ﷻ القناعة بما قسم له الرزاق من حظ الدنيا ومتاعها والرضى بالمقدر له، وعدم التطلع إلى ما فى أيدى الغير، أو السعى فى الوصول إلى عرض منها .

ولا بد للداعية أن يكون من المتعففين فلا يلهث وراء أصحاب الجاه أو المال، ولا يتكسب من دعوته، بل ينزه نفسه ويشرفها من مغبة أن يمن عليه أحد بشيء .

ولقد أثنى الله سبحانه على أهل العفاف والقناعة فى القرآن الكريم بما يعظم قدرهم فقال تعالى مبينا أن أعظم قربة، وصدقة يتصدق بها المسلم عندما تصل إلى عفيف النفس والذى لا يلح أو يتجمل للمسائلة : ﴿وَمَا تُنفِقُوا

(١) دراسات فى الدعوة الإسلامية ا.د/عبدالقادرسيد ص ٢٨ : ٢٩بتصرف طبعة خاصة بالجمعية الشرعية الرئيسية السنة الأولى

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾[1]

فلابد للداعية أن يكون قانعا بما فى ملكه، حامد لربة على ما رزقة، ولا يحزن على ما ضاع وفات، ولا يغتر بما هو قادم وآت، مطمئنا أن رزقه بيد الرزقا ذى القوة المتين وحده.

خاصة أنه يؤمن بما أنزل الله ﷻ فى القرآن ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2] .

والنبى ﷺ يبين أن الدنيا الحقيقية وسعادتها تكمن فى حكمته التى هى من جوامع الكلم (من أصبح منكم معافا فى جسده أمنا فى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)[3]

وبزهد الداعية فى الدنيا يحظى بحب الله له، وبزهده فيما بيد الناس يحبه الناس مصداق ذلك: أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال ﷺ: إزهد

(١) سورة البقرة آيه ٢٧٢ : ٢٧٣

(٢) سورة هود آية ٦

(٣) رواه الإمام ابن ماجه فى سننه كتاب الزهد باب القناعة حديث رقم ٤١٤١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى دار الفكر بيروت

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبوك وفى رواية يحبك الناس)[1]

وقد نظم الشعراء عن هذا الحديث مايدل على أنه من أعمدة الإسلام الأربع التى أسسها المصطفى ﷺ من سننه وهى:

١- الأعمال بالنيات
٢- الحلال بين والحرام بين، واتق الشبهات
٣- من حسن إسلام المرء تركه مـــــالا يعنيه
٤- إزهد فى الدنيا..ومافى أيدى الناس- قال القائل:

عمدة الدين عندنا كلمات ∴ مأخوذة من قول خير البرية
اتـــق الشبهات وازهد ودع ∴ مـــاليس يعنيك واعملن بنية

وماأجمل مانطق به المختار ﷺ مبينا فضل وثمرة القناعة فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ويستغنى به من الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك..فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول)[2]

---

(١) رياض الصالحين للإمام النووى ص١٨٧ حديث رقم ٤٧٢ طبعة دار اليمامة وانظر شرح الأربعين النووية للإمام يحيي ابن شرف النووى تعليق الشيخ محمد بن صالح العثيمين تخريج الأحاديث للشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألبانى ص١٤٢ حديث رقم ٣١ دار الصحابة طبعة ٣ عام ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م

(٢) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس حديث رقم ١٠٤٢ ص ٢٦٤

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وعندما نتأمل موقف سيدنا سليمان عليه السلام رافضاً المساومة على الدعوة إلى الله عز وجل مقابل الهدية التى أرسلتها له ملكة سبأ يرشدنا ذلك إلى مدى القناعة والتعفف عما فى أيدى الناس عند المرسلين والدعاة وها هو القرآن الكريم يقص ذلك الموقف فى أبهى صورة قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]

وهاك طائفة من قبس نور النبوة يتبين من تأملها مايرشد إلى فضل القناعة والتعفف، وأن من يستعفف ويستغنى عن الناس يعفه الله عز وجل ويعلى شأنه

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال – قال رسول الله ﷺ : (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس)[2].

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن (أناس من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا ما نفذا ما عنده قال :

---

(١) سورة النمل آية٢٩:٣٧

(٢) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب ليس الغنى عن كثرة عرض حديث رقم ١٠٥١ ص ٢٦٦ مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ما يكن عندى من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يصبر يصبره الله، وما أعطى أحد من عطاء خيرا وأوسع من الصبر)[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال – قال رسول الله ﷺ (قد أفلح من أسلم ورزق كفاف وقنعه الله بما آتاه)[2].

ومعلوم أن خاتم النبيين محمد ﷺ التزم هذا الأمر التزاما عمليا، ولم يكن الأمر مجرد كلمات يتمتم بها، أو يهدئ بها المشاعر، ويسكن بها الشهوات .

فلقد ضرب المصطفى ﷺ خير الأمثلة على الزهد والقناعة وخاصة زهده فى الدنيا، يقول فيصل بن على البعدانى : (كان النبى ﷺ متعلق القلب برضى ربه ﷻ معرض عما لا ينفع فى الآخرة، زاهدا فى الدنيا مع قدرته عليها، إذا حصلت له أنفقها هكذا وهكذا فى عبادة الله دون أن يدخر لبيته أو لإهل بيته منها، وصفه الواصف فقال (أما هو فكان أزهد الناس فى الدنيا)[3] وصور زهده فى الدنيا تترى تكاد لا تنتهى ومن ذلك أنه ﷺ كان يدعو ربه قائلا : (اللهم أرزق آل محمد قوتا)[4] ومنها تواضع طعامه ﷺ إذ حين ذبح أضحيته فى حجة

---

(١) المرجع السابق ص٢٦٦ : ٢٦٧ باب فضل التعفف والصبر .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٧ باب الكفاف والقناعة

(٣) المسند للإمام أحمد بن حنبل حديث رقم ١٧٧٧٣ .

(٤) صحيح البخارى حديث رقم ٦٤٦٠ وفى صحيح مسلم (الله اجعل رزق آل محمد قوتا) كتاب الزكاه باب فى الكفاف والقناعة ص ٢٦٧ مكتبة أولاد الشيخ للتراث .

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الوداع قال لثوبان أصلح هذا اللحم قال ثوبان فأصلحته فلم يزل يأكل منه حتى بلغ المدينة ...

فإن كان لك قلب تبصر به فاتّق الدنيا وزينتها وإياك أن تكون ابنا لها أو عبدا فإنها دار فناء وهوان وذل ..ولو كانت دار رضى لاختارها الله تعالى لأوليائه والصفوة من خلقه، فلا تأمنها وإياك وفتنتها فإنما هى متاع الغرور)[1].

والداعى إلى الله جل شأنه إذا نظر إلى ما فى أيدى الناس صار لديهم محقرا، ممقوتا، مرذولا، وهان عليه كل ما يلاقيه من أنواع الذلة فى سبيل الحصول على ذلك الحطام الفانى، وهذا بلا ريب هو السقوط الذى لا خلاص منه، والفقر الذى لا غنى معه .

أما إذا كان عفيفا قانعا علا فى أعين الخلق لأن : (القناعة والرضا بما قدره الله للإنسان من رزق يجعله مطمئنا لأنه يعلم أنه لن يضيع من رزقه شيء إذ إنه بيد الله وحده...

والتعفف مما فى أيدى الخلائق يجعل المرء مصونا ومكرما، ويتعامل مع الناس بعزة نفس .)

أما التعلق بالدنيا والركض وراءها وعدم القناعة فإنه يورث صاحبه خوفا وقلقا، والطمع فيما في أيدى الناس يفضى به إلى المداهنة والتملق، ويضيع مهابته فى نظر الآخرين .

---

(١) أحوال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحج ص ٤٨ : ٥٢ بتصرف تأليف فيصل بن على البعدانى مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر كتاب المنتدى الإسلامى بلندن – بدون تاريخ –

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فخير للمرء أن يتعفف ويستغنى بالله، وصدق رسول الله ﷺ فيما رواه سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه: (جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أوصنى وأوجز ... فقال له النبى ﷺ: ليك باليأس مما فى أيدى الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه)[1].

ويروى فى هذا المجال موقف عمرو بن عبيد رضي الله عنه (إذ دخل على المنصور وعنده ابنه المهدى فقال له أبو جعفر: هذا ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين ورجائى أن تدعو له: فقال يا أمير المؤمنين أراك قد رضيت له أمور يصير إليها وأنت عنه مشغول فاستعبر أبو جعفر وقال له: عظنى أبا عثمان قال يا أمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها، وهذا الذى أصبح فى يديك لو بقى فى يد من كان قبلك لم يصل إليك قال: أبا عثمان أعنى بأصحابك قال: ارفع علم الحق يتبعك أهلك ثم خرج فأتبعه أبو جعفر بصرة فلم يقبلها وجعل يقول:

كلكم خاتل[2] صيد كلكم يمشى رويد غير عمرو بن عبيد)[3].

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابورى جزء ٤ ص ٣٢٦ طبعة دار المعرفة بدون تاريخ.

(٢) خاتل الصيد خادعه وراوغه – المعجم الوجيز ص ١٨٥ طبعة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٢م

(٣) الخطابة فى موكب الدعوة الإسلامية د/ إسماعيل على محمد ص ١٦٢ : ١٦٣ بتصرف مرجع سابق أدب الدنيا والدين لأبى الحسن على بن محمد البصرى الماوردى ص ١١٢ : ١١٣ تحقيق محمد فتحى أبو بكر الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة طبعة ١ سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

وها هو القاضى عبد العزيز الجرجانى يردد شعرا مبينا فضل القناعة والتعفف عما فى أيدى البشر وخاصة عند الدعاة والعلماء، ومشيرا إلى سفالة ووضاعة الطماع الحريص يقول :

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما ... رأوا رجلاً عن موقفِ الذلِّ
أرى الناسَ من داناهُمُ هان عندهم ... ومن أكرَمته عزةُ النفسِ
وما زلتُ مُنحازاً بعرضيَ جانباً ... من الذم أعتدُّ الصيانةَ مَغنما
ولم أقضِ حَقَّ العلمِ إن كان كُلَّمَا ... بدا طَمَعٌ صَيَّرتُه لي سُلَّما
وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفزُّني ... ولا كلُّ من لاقيت أرضاه
إذا قيلَ هذا مَنهلٌ قلتُ قد أرى ... ولكنَّ نفسَ الحرِّ تَحتَمِلَ
أُنزِّهها عن بَعضِ ما لا يشينُها ... مخافةَ أقوال العدا فيم أو لما؟
ولم أبتذل في خدمة العلمِ مُهجَتي ... لأَخدمَ من لاقيتُ لكن
أأشقى به غَرساً وأجنيه ذِلةً ... فاتباعُ الجهلِ قد كان أَحزَما
ولو أن أهل العلمِ صانوه صانَهُم ... ولو عَظَّمُوه في النفوسِ لَعُظِّما

ترى أيقبل الداعى إلى الله جل جلاله بعد ذلك أن يصون نفسه ودعوته بعفة وقناعة وعزة، أم يرضى الهوان والذلة ؟! .

لاشك أن كل داعية موقن بدعوته، ومصدق بها سيختار القناعة والتعفف .

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وإلى سمة من السمات التى لابد أن يتخلق بها الداعى إلى الله ﷻ ألا وهى التواضع.

رابعا: التـــــــواضع :-

هذا الخلق من السيم التى يجب على الداعى إلى الله سبحانه أن لا تفارقه مطلقا فى كافة أحواله سواء كان غنيا أم فقيرا، مع أصحابه أم أعدائه شريطة أن لا يكون تواضع فيه ريبة الذل، وإنما تواضع عن عز وقوة وقدرة .

وهو من أهم الصفات الخلقية الحسنة التى تجعل الناس يحبونه، ويجتمعون حوله، ويقتادون لهديه وإرشاده، ونصحه، ولا يتكبر عليهم مهما كانت الدواعى .

لأن الكبر والغرور يؤدى إلى نفرة الناس فعن أبى هريرة ﷺ قال – قال رسول الله ﷺ (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عز وما تواضع أحد لله إلا رفعه) فالتواضع لله ﷻ مطلوب ومأمورا به، وكذلك أيضا مع الناس .

وها هو سيدنا لقمان يعظ ابنه بوصايا، ونصائح جليلة تكفل له الفوز والنجاح إذا ما التزم بها، ومن تلك الوصايا الأخلاقية التواضع وعدم التكبر والغرور كما ورد فى القرآن الكريم ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١).

(١) سورة لقمان آيه ١٨

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

إنها تربية أيمانية ووصايا خلقية مسطرة بأحرف وكلمات من نور تهدى الضال، وترشد الحائر، وتضئ الطرق المظلم لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

والله ﷻ أمر الإنسان أن لا يتكبر، ويغتر فيصبح كإبليس اللعين، وإنما عليه أن يتواضع ويعرف قدر نفسه، إذ لو أنه بلغ ما يبلغ فلن يستطع بتكبره وغروره أن يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولا قال تعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[1].

وإذا كانت تلك وصية سيدنا لقمان الحكيم لابنه، وإذا كان ذلك أمر الله للإنسان بصفة عامة فإن الداعى إلى الله بصفة خاصة واجب فى حقه أن يتواضع، ويلين جانبه لله والخلق كى تثمر دعوته وينجح فى نشرها .

يقول سيدنا عمرو بن الخطاب ﷺ (تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منهم وليتواضع لكم من تعلمنه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم)[2].

والتواضع له أهمية عظمى فى إصلاح النفوس، وعدم الزج بها فى الهلاك يقول صاحب أسنى المطالب فى صلة الأقارب: (التواضع هو أن لا ترى لنفسك عظمة ولاتقدما على أحد بشئ من العلم والعبادة، والحسب والمال، والجاه..

---

(١) سورة الإسراء آيه ٣٧ : ٣٨

(٢) الحليه لأبى نعيم جزء ٢ ص ٣٤٢ طبعة دار الكتاب العربى بدون تاريخ

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

والنفوس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه رفع منه التواضع، والنصيحة والقناعة، وإذا أراد الله به خيراً لطف به فى ذلك.

فإذا هاجت فى نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى، وإذا هاجت فى نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله، وإذا هاجت فى نفسه نار الحسد أدركتها النصيحة مع توفيق الله تعالى)[1].

وهكذا التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة

فيلزم الداعى إلى الله ﷻ أن لا يتعالى على المدعوين كأن يشعر من يدعوه أنه فوقه، أو أحسن منه وأفضل، فإن الاتصاف بذلك يحدث شعوراً بعدم الراحة عند من يدعوه بل يقيم مانعاً وحاجزاً نفسياً بينه وبين الداعية وبين الدعوة

ولذا على الداعى إلى المولى سبحانه أن يكون أسبق الخلق إلى تطبيق وتنفيذ أوامروكلام الله عزشأنه، والعمل بسنته ﷺ وتوجيهاته..الداعية إلى التواضع وخفض الجناح والناهية عن الكبر، والخيلاء مثل قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2]

(١) أسنى المطالب فى صلة الأقارب تأليف ابن حجر الهيثمى تحقيق د/حسن عبدالحميد حسن ص١٤٢:١٤٣ بتصرف الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م مطبعة الأمانة بشبرا

(٢) سورة الحجر آية ٨٨

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ويزداد الأمر تأكيداً بعلم الداعى إلى الله تقدست أسماؤه أن الله سبحانه لايرضى عن المستكبرين ويكرههم ولايحبهم قال تعالي:

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾(١)

وعاقبة المستكبرين، والمتعالين على الخلق العذاب المهين فى الدنيا وفى الآخرة كما ذكر النبي ﷺ فى قوله: (احتجت النار والجنه فقالت هذه يدخلنى الجبارون والمتكبرون..وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال الله ﷻ لهذه أنت عذابي أعذب بك من أشاء وربما قال أصيب بك من أشاء..وقال لهذه أنت رحمتى أرحم بكى من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها)(٢)

يقول د/عبدالكريم زيدان: (والداعى إلى الله أحوج من غيره إلى خلق التواضع فهو يخالط الناس، ويدعوهم إلى الحق، وإلى أخلاق الإسلام، فكيف يكون عارياً من التواضع؟

وهو من ركائز أخلاق الإسلام؟

ثم إن من طبيعة الناس التى جبلهم الله عليها أنهم لايقبلون قول من يستطيل عليهم، ويحقرهم، ويستصغرهم، ويتكبر عليهم وإن كان مايقوله حقاً وصدقاً هكذا جبلت طبائع الناس فإنهم ينفرون عن المتكبر ويغلقون قلوبهم دون كلامه، ووعظه وإرشاده

(١) سورة النحل آية ٢٣

(٢) صحيح مسلم كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون رقم ٢٨٤٦ ص ٧٥٦ مكتبة أولاد الشيخ للتراث

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فلا يصل إليها من قوله شئ، بل قد يكون ذلك سببا إلى كرههم الحق منه ومن غيره

فعلى الداعى أن يفقه هذا الأمر جيداً، وليتق الله ربه، ولايكون سبباً لنفرة الناس عن الدعوة إلى الله تعالى)[1]

ويواصل نصحه وتوجيهه، وإرشاده للداعية فيكمل قوله(ونزيد هنا شئ آخر له علاقة بالموضوع، وله أهميته البالغة

ذلك أن من طبائع الناس أنهم لايحبون من يكثر الحديث عن نفسه، ويكثر الثناء عليها، ويكثر من قول أنا، أنا

ولهذا فعلى الداعية أن يحذر ذلك وأن لا يدعى شيئاً يدل على تعاليه كأن ينسب لنفسه المزيد من العلم أو الفصاحة أو المعرفة

إن على الداعى أن يعرف أن جميع ماعنده هو محض فضل الله عليه فليتحدث إلى الناس وهو بهذا اليقين، وبهذا الشعور، يتحدث إليهم بفضل الله لابفضل نفسه

فإذا عرف الناس منه ذلك فتحوا له قلوبهم أو على الأقل لم يغلقوها دون كلامه فيقع فيها من معانيه الطيبة النافعة ما يشاء الله وقوعه)[2]

---

(١) أصول الدعوة د/عبد الكريم زيدان ص٣٦٣ مؤسسة الرسالة بيروت بتصرف طبعة ٣ عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م

(٢) المرجع السابق ص ٣٦٣

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

إذن على الداعى إلى الله ﷻ أن يكون متواضعاً بغير مذلة، أبياً من غير تكبر على أحد من الناس، وذلك لأن التواضع من الناس من أعظم الوسائل التى ينشر بها دعوته بينهم

ومن التواضع عدم الافتخار بالآباء والأجداد، وعدم البغى والاعتداء ولهذا قال النبي ﷺ: (إن الله قد أوحى إلى أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد ولايبغى أحد على أحد)(١)

والله ﷻ أمر المؤمنين خاصة أن لا يسخروا من أحد قال ﷻ فى الذكر الحكيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٢)

فالتواضع يجب أن يكون مع الناس جميعا الأبيض والأسود، الغنى والفقير، القوى والضعيف، الحاكم والمحكوم لافرق فى ذلك بين أحد من الناس قال رسول الله ﷺ مبيناً أن التواضع رفعة لصاحبه

(١) صحيح مسلم كتاب الجنة باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار ص٧٦٠

(٢) سورة الحجرات آية ١١

وعزة: (مانقصت صدقة من مال ومازاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وماتواضع أحد لله إلا رفعه)[1]

يقول د/سعيد محمد قابل: (والتواضع فى الأصل يقال للذين هم فى الحقيقة كبار، أما نحن فيقال لكل واحد منا اعرف قدر نفسك..

والإنسان إنما يستطيل ويتكبر ويعجب بنفسه إذا جهل بحقيقة نفسه، ولم يعرف قدر ربه، وماأجمل قول ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك فى الدنيا حتى تعلنه أنه ليس له بدنياه عليك فضل)[2].

ويؤكد على ما سبق عرضه أ.د / عبد القادر سيد مستدلا بقول الإمام الشافعى مما جاء فى المناقب للبيهقى : (قال الإمام الشافعى رحمه الله : التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم وأخلاق اللئام، لأن الكبر صفة مذمومة ذمها الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3]

(١) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب العفو والتواضع ص٦٩٤ مكتبة أولاد الشيخ للتراث

(٢) محاضرات فى الخطابة وثقافة الخطيب د / سعيد محمد قابل ص ٣٢ :٣٣ بتصرف –بدون تاريخ .

(٣) سورة القصص آية ٨٣

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ومما لاشك فيه أن التواضع يجعل الداعية محبوباًمن مجتمعه فيستمع الناس إليه، ويتأثرون به، ويقتدون بفعله، كما أنه يعتبر وسيلة فعالة فى نشر دعوته بين الناس)[1] ، بمثل هذه الصفة يبرز إلى ساحة الدعوة دعاة إلى الله ﷻ يرفعون لواء الإسلام بالقدوة والحسنى، والخلق الرفيع فتستجيب لهم القلوب وتنشرح لهم الصدور، وماأجمل ماترنم به الشادى فى شرف التواضع :

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا ∴ فإنا منحنا بالرضا من أحبنا
ولذ بحمانا واحتمي بجنابنا ∴ لنحميك مما فيه أشرار خلقنا
وعش في حمانا خاضعا متذللا ∴ وأخلص لنا تلقى المسرة والهنا
وسلم إلينا الأمر في كل ما يكن ∴ فما القرب والإبعاد إلا بأمرنا
ولاتعترضنا في الأمورفكل من ∴ أردناه أحببناه حتى أحبنا
ينادى له في الكون أنا نحبه ∴ فيسمع من في الكون أمر
فيكسى جلالا بالوقار لأنه ∴ أقام بإذلال على باب عزنا
رفعنا له حجبا أبحناه نظرة ∴ إلينا وأودعناه من سر سرنا
تمسك بأذيال المحبة واغتنم ∴ ليالٍ بها تحظى بأوقات قربنا[2]

وإلى صفة طيبة من الصفات التى تؤثر تأثيرا عظيما فى نجاح الداعى إلى الله ﷻ كى يبلغ الدعوة، وينشرها بالتى هى أحسن، وهى

(١) دراسات فى الدعوة الإسلاميةأ.د/عبدالقادر سيد ص٢٨:٢٧ بتصرف مرجع سابق
(٢) قصيدة أطع أمرنا أداء الشيخ / ياسين التهامى حفلة رقم ١١٩ انتاج شركة ابن الفارض للصوتيات والمرئيات أسيوط عمارات الأوقاف شريط مسجل (كاسيت)

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

سمة التودد إلى الناس لتأليف قلوبهم وهى الخلق الخامس من الأخلاق الحسنة .

خامسا التودد الى الناس لتأليف قلوبهم : ـ

يقول الله ﷻ مبينا أهمية المودة والبر بين الناس لأجل تأليف القلوب، وخاصة فى التعامل مع غير المسلمين الذين كفوا أيديهم عن القتال، ولأذى لأمة الأسلام، أو الإخراج من الديار : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[1].

ويصل السمو الخلقى فى الإسلام مداه عندما يجير المسلم المشرك، ويحسن إليه رغم أنه على غير دينه، وهذه المنة تعلمت منها الإنسانية فى عصورها الحديثة ما يعرف بحق اللجوء السياسي، والمحافظة على اللاجئ، وإذا رغب فى الرجوع يعاد آمنا قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وعلى هذا الأساس الربانى الذى وضع أركانه ما جاء فى تعاليم الله ﷻ، وما طبقة النبي ﷺ تطبيقا عمليا مما هو مذكور وثابت فى السيرة والتاريخ .

فلابد للداعى إلى الله أن يتخلق بهذه السمة، ويتصف بتلك الصفة وهى التودد إلى الناس لتأليف قلوبهم ذلك إن (الألفة رحمة، وأن

(١) سورة الممتحنة آية ٧ : ٨

(٢) سورة التوبة آيه ٦

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الفرقة لعذاب، وأن المسلم السوى مألفة يألف ويؤلف، يتحبب إلى الناس ويتودد إليهم ويتألف قلوبهم .

وهذا النوذج السامى الذى يسعى جاهدا لإدخال السرور على قلوب المسلمين، وتأليفهم على الخير هو الأهل لحمل رسالة الرحمة للعالمين .

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال – قال رسول اله ﷺ (أكمل المؤمنين إيمانا أحاسنهم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)[1].

ولقد كان الشفيع النذير ﷺ الداعى إلى اللهﷻ بموجب المهام التى أرسله اللهﷻ بها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾[2] من تمام دعوته إلى اللهﷻ أنه يقبل على أشر الخلق ليؤلفه بذلك إلى الإسلام، بل بلغ به الأمر ﷺ أنه كان يعطى ناس فى إيمانهم ضعف، ويعلم أنه لو لم يمنحهم العطايا لارتدوا، وعادوا إلى أديان الجاهلة، وعاداتها، وأكبهم هذا الارتداد فى نار جهنم وبئس المصير، وكان يترك أخرين هم أحب إليه من الذين أعطاهم .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل جزء ٤ ص ١٥٣

(٢) سورة الأحزاب آيه ٤٥ : ٤٨

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وما كان يتركهم احتقارا لهم ولا لنقص فى دينهم، ولا إهمالا لجانبهم ولكن أوكلهم إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الهدى والصلاح، والإيمان، والرشاد، والنور، وهو على يقين تام بأنهم لا يتزلزل إيمانهم أو يضعف و إليك الدليل من السنة الذى يتجلى فيه هذا الموقف

عن عامر بن سعد عن أبيه سعد قال : (أعطى رسول الله ﷺ رهطا وأنا جالس فيهم قال فترك رسول الله ﷺ منهم رجلا لم يعطه وهو أعجبهم إلي فقمت إلى رسول الله ﷺ فسارررته فقلت يا رسول الله ما لك عن فلان والله إني لأراه مؤمنا قال أو مسلما..؟فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فقلت يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا قال أو مسلما..؟فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فقلت يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا قال أو مسلما..؟ قال إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه)[1].

وفى رواية سيدنا أنس بن مالك رضى الله هنه البرهان العمل على تأليف القلوب بما يرضى أصحابها قال: (لما فتحت مكه قسم الغنائم فى قريش فقالت الأنصار إن هذا لهو العجب إن سسوفنا تقطر من دمائهم وإن غنائمنا ترد عليهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجمعهم فقال ما الذى بلغنى عنكم ؟ قالوا هو بلغك وكانوا لا يكذبون فقال

(١) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب إعطاء من يخاف على إيمانه ص ٢٦٧ : ٢٨٦ مكتبة أولاد الشيخ للتراث

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

: اما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا إلى بيوتهم.وسلكت الأنصار واديا أو شعبا لسلكت وادى الأنصار أو شعب الأنصار)[1].

ورسول الله ﷺ رغم تأكده من شدة كراهية بعض الناس له، ورغم هذا لايقابلهم بالمثل، ولا ينتقم لنفسه، وإنما كان أرحم وأعطف وألين لهم من أنفسهم.

إذا كان يحنو عليهم ويعطيهم حتى يصير ﷺ أحب وأفضل الناس إليهم .

عن ابن شهاب قال (غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح –فتح مكة- ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بجنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنى سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقد أعطانى رسول الله ما أعطانى وإنه لأبغض الناس إلى فما برح يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلى)[2] .

وكان جود النبى ﷺ وسخاؤه، وكرمه لا مثيل لهم، وله أثر كبير فى تأليف محبي الدنيا والراغبين فى متاعها، فما يلبث أن ينحول هذا الحب إلى الإيمان وإلى حب الأخرة والإسلام .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه ص ٢٦٨

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء قط فقال لا وكثرة عطائه ص ٦٢٩

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

عن أنس ﷺ: (أن رجل سأل النبى ﷺ غنما بين جبلين فأعطاه إياه فأتى قومه فقال أى قوم أسلموا فوالله إن محمد ليعطى عطاء ما يخاف الفقر فقال أنس إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها)[1].

وهكذا اتضح بفضل تأليف القلوب كيف أصبح هذا الرجل داعية للإسلام بين قومه، لأنه علم أن رسول الله صلى الله عليهم وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة، والله سبحانه وحده هو الذي بيده تأليف القلوب وهدايتها وتوحيدها على كلمة سواء .

فيجب على الداعى إلى الله ﷻ أن يستعين بربه فى تأليف قلوب الناس وتوحيد صفوفهم حتى تكون لهم منعة وشوكة، ولا يكن لأعدائهم فيهم مطمع أو تربص

ولقد أكد القرآن -كلام الله تعالى- على أن تأليف القلوب بيد المولى سبحانه وحده، والنبي ﷺ الداعى إلى الله عز شأنه ماهو إلا سبب أو وسيلة للوصول إلى هذه المنة، بحسن تودده ورحمته قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]

هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، والأوس والخزرج بينهما من المعارك، والمشاحنات، والحروب، والأحداث الجسام، والتقاتل ما

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل ص ٦٢٩ المرجع السابق

(٢) سورة الأنفال ٦٢:٦٣

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أهلك سادتهم ورؤساءهم وفلذات أكبادهم..وبينهم التجاور الذى يثير الضغائن، ويهيج التحاسد، ويجدد الأحزان، ويشعل ويوقد نار الحرب والفتن فأنساهم الله ﷻ ذلك كله حتى أتفقوا على الطاعة، وتحابوا، وتآلفوا، واتحدوا، وتصافوا، وصاروا أنصاراً، وأصبحوا إخواناً فى الدين والوطن بنعمة الله سبحانه وتعالى، وماذلك إلا بلطيف صنعه وبليغ قدرته، وتوطدت بينهما أخوة أعظم من أخوة الدم والنسب

وهذا أيضا من تمام فضل الله على خاتم الأنبياء محمد ﷺ فيذكره به قائلاً: لو أنفقت يامحمد مافى الأرض جميعا من ذهب وفضة، ومتاع وعرض، ماجمعت أنت قلوبهم، ولكن الله جمعها على الخير فاجتمعت وتوحدت وائتلفت تثبيتا من الله لك، وعونا منه على أعدائك ومبغضيك، وأصبح كل المسلمون بنعمة من الله إخوانا وقد ذكرهم الله تعالى قدرته بها وأمرهم أن لا ينسوها مطلقاً قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[1]

وعلى هذا الأساس فإن الداعى إلى الله ﷻ الربانى هو الذى يحب الناس ويتودد إليهم، ويريد لهم الصلاح، والبر والخير دوماً، ويحرص متطلعاً على أن يحظى بمحبتهم، ويتخذ من أجل ذلك الحب كل وسيلة مشروعة لأن الناس إن أحبوا أعطوا الزمام طائعين مختارين مخلصين.

ومراعاة البشر لاينبغى أن تغيب عن فكر، ووجدان، وسلوك الداعية، وتصرفاته معهم كي لا ينصرفوا عن دعوته

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وقد قال النبي ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها محدثاً إياها أنه لايريد بناء الكعبة على الأساس الذى كانت عليه مراعاة لقلوب قريش، وتجنباً للفتنة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سألت رسول الله ﷺ عن الجدر أمن البيت هو؟قال: نعم ..قلت: فلم لم يدخلوه فى البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم فى الجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الجدر فى البيت، وأن ألزق بابه بالأرض)[1]

يقول سيدنا عمر رضي الله عنه : (للقلوب حقائق ينشئها الله عز وجل إنشاءً منها السر والعلانية..فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه فى الحق سواء، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس إليه.

فلا تزهد فى التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم، وإن الله تعالى إذا أحب عبداً حببه إلى خلقه، وإذا أبغض عبداً بغضه إليهم ..فاعتبر منزلتك عند الله عز وجل بمنزلتك عند الناس..

ممن يشرع معك فى أمرك)[2]

---

(١) صحيح مسلم كتاب الحج باب جدر الكعبة وبابها ص٣٥١ مكتبة أولاد الشيخ للتراث

(٢) عظماؤنا فى التاريخ للشيخ / مصطفى السباعى ص١٤٦ مطبعة دار اليقين

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ومما يعين على ذلك إصلاح الداعى إلى الله ﷻ مابينه وبين الله فإذا صلح مابينه وبين خالقه سبحانه أصلح الله مابينه وبين الخلق

ولاشك أن معاملة الناس على الوجه الذى يحبه الله ويرضاه، وشرعه فى قرءانه، وعلى لسان رسوله ﷺ من بذل المعروف، وكف الأذى وتحمله، وعدم إرضائهم على حساب دينه، أو بما يكرهه ربه ويسخطه

كل ذلك يوصل إلى محبتهم وانقيادهم إلى مايأمرهم ويدعوهم إليه مما جاء فى تعليم الدين الإسلامى التى بينتها مصادر الدعوة إلى الحق سبحانه وتعالى .

وإلى سمة وصفة من أهم الصفات التى يجب أن تكون من أخلاق الداعى إلى الله .

سادساً: الصبر:

أمر الله المصفى ﷻ فى كتابه أن يتحلى تلك السمة العظيمة، وهذه الشيمة الكريمة، والصفة الطيبة التى هى من خصائص الأنبياء والمرسلين، وخلق من أخلاق الصالحين وذوى الألباب والأبرار المصلحين، وذلك فى أكثر من موضع قال تعالى : ﴿ **وَٱصْبِرْ وَمَا**

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (١)، وقال سبحانه ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ (٢)، وقال عز شأنه ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (٣)

ويذكره سبحانه بأنه ﷻ قد من بالنصر على المرسلين بصبرهم رغم تكذيب أقوامهم ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٤)

وأنه جل شأنه وصف بعض الأنبياء بتلك السمة الحسنة، وهذا الخلق الكريم فنالوا شرف النبوة والرسالة وتنعموا بالدخول فى رحمة الله تعالى لأنهم من الصالحين قال تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٥)

وبالصبر استحق سيدنا اسماعيل الفداء العظيم: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ

---

(١) سورة النحل آية ٢٧
(٢) سورة المعارج آية ٥
(٣) سورة المزمل آية ١٠
(٤) سورة الأنعام آية ٣٤
(٥) سورة الأنبياء آية ٨٣:٨٦

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1]

إلى غير ذلك من الآيات التى تصفهم بسمة الصبر عليهم السلام

أيضاً الله جل شأنه أمر المؤمنين أن يتحلوا بهذه الصفة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2]

كما أن أهل الإيمان والعمل الصالح وصيتهم الأساسية الحق، والالتزام بالصبر قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[3]

ولقد أعد الله جل شأنه للصابرين أجراً عظيماً، وثواباً كبيراً، وبشرهم بصلاة منه ورحمة خاصة عند صبرهم على البلاء والمصائب قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الصافات آية ١٠٢:١٠٨

(٢) سورة آل عمران آية ٢٠٠

(٣) سورة العصر آية ١:٣

(٤) سورة البقرة آية ١٥٥:١٥٧

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

... ذلك بعدما بين أنه سبحانه وتعالى مع الصابرين ومعينهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1]

كما أن الصابرين يعطون من الله ﷻ أجراً دون حساب قال جل شأنه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2]

ولعل أفضل ثواب، وأجر يوفاه الصابرون فى الآخرة الفوز بالجنة لأنهم من أولى الألباب حقاً الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾[3]

وقد بين النبي ﷺ قيمة خلق، وسمة الصبر مؤكداً على أنه ضياء للمؤمن فقال عليه الصلاة والسلام: (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأن الميزان أو تملأ مابين السماوات والأرض الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها)[4]

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٣

(٢) سورة الزمر آية ١٠

(٣) سورة الرعد آية ١٩: ٢٤

(٤) صحيح مسلم كتاب الطهارة باب فضل الوضوء ص٧٤

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

والأمثلة والدلائل، والبراهين والشواهد من الكتاب والسنة كثيرة جداً تدل على أهمية هذا الخلق

وتحت عنوان أهمية الصبر للداعى يقول أ.د/ محمود محمد عمارة رَحِمَهُ اللَّهُ (وإذا فلابد للداعية من صبر جميل يعينه على احتواء مدعويه...إن فى الناس اللين والعنيد... وعليه أحيانا أن يكظم غيظه إذا ووجه بما يشوش عليه، وإذا كانوا يقولون لايطاع إلا من يطيع فعلى الداعية أحيانا وربما كثيراً أن يجارى الناس فى بعض ما يرغبون ليتسنى له كما قيل أن يصل بزورقه إلى الشاطئ الآمن قبل أن يتحطم فى عرض البحر....

باختصار عليه أن يتحكم فى أهواء نفسه ليتمكن من التحكم فى أهواء غيره....

ويمتحن صبر الداعية فى الوقت الذي يتخلى عنه مدعوه فلايستجيبون له أو يحضرون ولكن لاينصتون، وعليه التجمل بالصبر لاستمالتهم بالتغاضي عن إعراضهم)[1]

إن الداعى إلى اللّه صاحب رسالة، وهو حريص على قبول الناس لها، واستمالتهم إليها، وإقناعهم بها.فليس هناك مبالغة إذا قيل : إنه هو الذي له عند الناس مصلحة وحاجة

(إن الداعية يجب أن يوطن نفسه على الصبر، وتحمل المكاره، لأن طريق الدعوة ليس مفروشاً بالورود والرياحين، وإنما طبيعتها

(١) الخطابة بين النظرية والتطبيق أ.د/ محمود محمد عمارة ص١١٥:١١٦ بتصرف مكتبة الإيمان بالمنصورة بدون.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

لاتخلو من عقبات وصعاب، وقد يقابل بصدد من الناس أو إعراض وغير ذلك مما قد يعترضه فلابد أن يتحلى بالصبر فى دعوة الناس

وهاهو سيدنا لقمان ﷺ حينما يوصى ابنه، ويعظه ينصحه بأن يتبع أمره إياه بالصبر قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١)

فالداعية إذا لم يتسلح بالصبر، وطول النفس فأغلب الظن أنه سيفشل فى مهمته

وليجعل نصب عينيه حياة الأنبياء والمرسلين الذين دعوا أقوامهم إلى الله ﷻ وقوبلوا بالأذي، والعنت فصبروا حتى أدوا أمانة الله وبلغوا رسالات ربهم قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (٢)

ومن العجب أن الكفار يحثون أتباعهم على الصبر حتى ولو كانوا على المعصية والباطل والشرك لما يعلمون من أهمية ذلك فى النصر، والفوز، والنجاح

وقد بين القرآن ذلك ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ (٣)

---

(١) سورة لقمان آية ١٧

(٢) سورة الأحقاف آية ٣٥

(٣) سورة ص آية ٦

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

إذن فليس الكفار أحق بالصبر على عبادة أوثانهم من الدعاة إلى الإيمان، ثم إن الداعية ينال بصبره رضا الله ﷻ ومثوبته كما ذكر فى الآيات السابقة التى بينت فضل وجزاء الصابرين كما أنه ينجح بصبره فى معالجة أمراض مجتمعه، ويفلح فى الأخذ بيد الناس إلى صراط الله المستقيم، ويتغلب على المحن والابتلاءات حتى يصل فى النهاية إلى الظفر والنصر)[1]

وفى عبارة وجيزة يقول صاحب طريق الدعوة فى ظلال القرآن: (إذا كان الباطل يصر ويصبر ويمضى فى الطريق فما أجدرالحق أن يكون أشد إصراراً وأعظم صبراً فى المضى فى الطريق)[2]

إن الصبر زاد لاغنى عنه لأى سالك لطريق الدعوة إلى الله جل شأنه ومتحمل لتبعاتها وأعبائها، ومشاقها وتكاليفها، إذ إنها أمانة كلف بأدائها أهل الحق يقول أحمد فائز:

(إن أصحاب الدعوة لابد أن يحتملوا تكاليفها، وأن يصبروا على التكذيب بها، والإيذاء من أجلها، فلابد لمن يكلفون حمل الدعوات أن يصبروا ويحتملوا، ولابد من أن يثابروا ويثبتوا ولابد أن يكرروا الدعوة ويبدأوا فيها ويعيدوا.

إنه لايجوز لهم أن ييأسوا من صلاح النفس، واستجابة القلوب مهما واجهوا من إنكار وتكذيب، ومن عتو وجحود.

---

(١) الخطابة فى موكب الدعوة الإسلامية ص ١٧٢:١٧٤ بتصرف مرجع سابق

(٢) طريق الدعوة فى ظلال القرآن جمع وإعداد أحمد فائز جزء١ ص ١٩٩مؤسسة الرسالة ببيروت الطبعة ١٦ عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

فإذا كانت المرة المائة لم تصل إلى القلوب، فقد تصل المرة الواحدة بعد المائة، وقد تصل المرة الواحدة بعد الألف، ولو صبروا هذه المرة وحاولوا ولم يقنطوا لتفتحت لهم أوصاد القلوب)[1]

ومما يرد فى هذا الصدد للاعتبار والتذكرة:

قصة القائد الذى فر بجنوده من ساحة المعركة، وترك موقعه لينجو بمن تبقى معه من أصحابه ومامعهم من عتاد وسلاح..وقد سيطر أعداؤه على المكان الذي يرابط عليه، ويحرسه ويحميه...وذهب بعيداً حتى وصل إلى مكان لاتصل إليه نار الأعداء أو عيونهم.ومن شدة التعب نام هذا القائد على صخرة كبيرة، وعندما استيقظ نظر إلى الصخرة فشاهد بعينيه نملة صغيرة تحاول الصعود وكلما تصل إلى قمة الصخرة تتهاوى، وتسقط، ومع ذلك لم تيأس وصبرت، وصابرت ووقعت مرات ومرات، لكن اليأس لم يعرف طريقاً إلى فكرها وعزمها وإصرارها حتى استطاعت فى نهاية المطاف أن تصعد فوق قمة الصخرة وتمضى إلى حيث ما تريد.

حينئذ انتبه القائد لصبرها وتعجب منها، وجمع جنوده، وقص عليهم خبر النملة الضعيفة، وكيف أنها لم تستسلم وقاومت حتى انتصرت وبلغت غايتها المرادة

فعرف الجنود مقصد قائدهم وعادوا بأسلحتهم من جديد إلى موقعهم الذى فروا منه سابقاً، وقاتلوا الأعداء الذين استولوا على

(١) المرجع السابق ص٢٠٥ بتصرف

أرضهم قتالاً شرساً وعنيفاً، وضارياً وأبلوا بلاء حسناً فى سبيل استعادة المجد والظفر، وإعادة الموقع المحبب إلى سيطرتهم وحوزتهم ثانية و بشدة استبسالهم أراد الله ﷻ لهم ذلك رغم قلة عددهم، وانتصروا على الأعداء بصبرهم، وأفنوهم عن أخرهم، ورفعوا رايتهم، وعَلَمَ بلادهم فى مكانه المخصص.

أعادوا رايتهم عالية خفاقة كما كانت، وسطروا بجهادهم أروع صور الاستبسال والجهاد، والقتال وذلك بفضل صبرهم خاصة وإن الصبر لون من ألوان الجهاد.

بالصبر تبلغ ماتريد، وبالتقوى يلين لك الحديد: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)[1]

وهناك أيضاً سمات وأخلاق، وصفات أخرى بالإضافة إلى الصبر لابد أن يتحلى بها الداعى إلى الله ﷻ كالكرم والحياء، والأمانة، والرفق والرحمة، والبشاشة، والنظافة وجمال المظهر وحسن الهندام والملبس، والتعاون مع الغير، والجد والعمل، والذكاء والفطنة، والكياسة، والمروءة، والوفاء، والتوكل على الله سبحانه وتعالى، والأخذ بالأسباب، وحسن المعاشرة للناس...إلخ

بمثل تلك السمات والتحلى بتلك الأخلاق، والاتصاف بهذه الصفات يبرز إلى ساحة الدعوة إلى الله ﷻ دعاة يرفعون لواء الإسلام، بالقدوة الحسنة، والخلق العظيم، الكريم، الرفيع.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٦

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فتستجيب لهم القلوب، وتنشرح لهم الصدور وتفتح لهم الأعين، وتنتبه لهم الآذان، وتفكر فى دعوتهم عقول المدعوين.

ولعل جماع الاتسام بهذه السيم قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] ﷺ

(١) سورة فصلت آية ٣٥:٣٣

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg